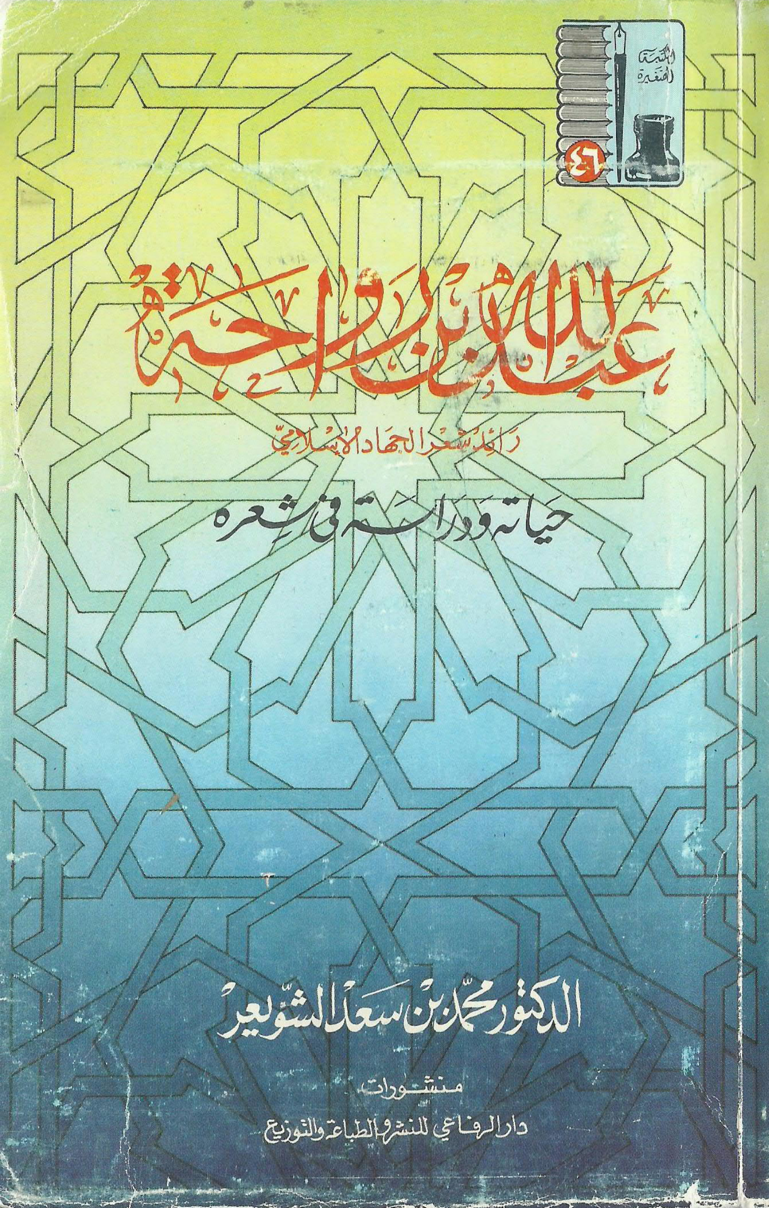

المكتبة الصغيرة
٤٦
عبد الله بن رواحة
رائد شعر الجهاد الإسلامي
حياته ودراسة في شعره
الدكتور محمد بن سعد الشويعر
منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع



الدكتور/ محمد بن سعد الشويعر

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

منشورات
دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع



بحث مقدم لندوة الأدب الاسلامي

بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

كلية اللغة العربية - الرياض

عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه وبعد:ـ

فإن الإنسان في هذه الحياة بين مد وجزر فقد تعجبه فكرة ما ويبدأ المسيرة والمشوار، ثم يتضاءل جهده مع طموح نفسه، ورغبته في نشدان الأسمى من الانتاج.

والموضوع الذي أتطرق إليه مقتطع من أصل كتبت فيه منذ عشر سنوات، بدافع ديني ومحرك وجداني.

ذلك أن الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على مدافعة المشركين ومناوئي الدعوة العقائدية الجديدة، التي جاءت من عند الله طاهرة نقية لتغير المجتمع بأسره، وتجتث جذور الوثنية، التي غطت الجزيرة العربية بصفة خاصة، لأن فيها أقدس مكان على الأرض، وشملت المسكون من المعمورة ـ بصفة عامة وإنما كان تشريعه لحكمه أشمل من ذلك.

جاء محمد صلى الله عليه وسلم، يحمل مشعل الهداية،

ونبراس الحق الذي أشرق من غار حراء فلاقى من قومه وأقرب الناس إليه ما لاقى وتصارع الحق مع الباطل - الحق الذي بدأ كالشرارة في الأفق، فاستجاب الذين أراد الله هدايتهم إليه، والباطل الذي كان أصحابه وحماته ممن استحوذ عليهم الشيطان، ونمت في نفوسهم الأثرة والنظرة الضيقة، وحب التسلط والهيمنة على كل شيء.

فكان لزاما على أصحاب الحق، الذين تمدهم بالقوة الوجدانية، آيات وعبر تتنزل من السماء فتثبتهم وتشدهم إلى هذا الحق شداً، وتخفف عنهم ما يلاقونه من عنت ومشقة، أو نقمة يصبها جبابرة قريش على هذه الفئة المؤمنة بربها لا لشيء إلا لخروجهم عن معتقدهم، ونبذهم الخضوع لأصنام لا تملك الدفاع عن نفسها، فكيف تستطيع جلب المنفعة للمستجيرين بها.

كان لزاماً عليهم الثبات والصبر ومجاهدة النفس، ولما كانت مقدرة هؤلاء على مدافعة المشركين بالقوة، أو الوقوف أمامهم بالمجابهة تفتقر إلى القاعدة للانطلاق، والسند لحماية الظهر والتكافؤ لرد التسلط بقوة رادعة فإن الطريق المناسب هو السير على الدرب الذي رسمه القرآن الكريم لهم، وانتهجه مثلهم الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بمجاهدة النفس، والصبر على الأذى، وتحمل مكائد

المشركين وُأعمالهم، طمعاً فيما أعد الله من أجر، وانتظاراً لفرج يأتي من عند الله.

وهذا واحد من أهم الدروس العملية التي توطنت عليها نفوس الصفوة الأولى من هذه الأمة وهي دروس قاسية وصعبة التحمل، لكنها هينة عليهم، وقد تقبلوا الآلام والمتاعب، بنفوس راضية، وقلوب مطمئنة، ولم يتراجعوا حسبما يطلب منهم، عن هذا الدين الذي اعتنقوه، ولم يتخلوا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو الالتفاف حوله، مهما وجه إليهم من أذى، أو سلط عليهم من مجابهة.

تحملت نفوسهم وأبدانهم، أقسى ما في جعبة مشركي قريش، من أنواع الحروب النفسية والإيذاء اللساني والبدني، والحصار الاقتصادي والطرد من الديار، والمحاصرة في شعب أبي طالب حتى أكلوا ورق الشجر، ثم الهجرة إلى الحبشة مرتين، والتعبد سرا وكتمان الإيمان بالله من بعضهم.. إلى آخر ما تثبته كتب التاريخ والسيرة.

ولكن الليل لابد أن يعقبه صباح، والظلمة يَفْلِقُهَا ضوء النهار، فكانت أول بادرة ـ لذلك الهجرة للمدينة، التي أصبحت قاعدة للانطلاق الإسلامي، والركيزة العقائدية.

شعر المسلمون بأن لهم داراً تأويهم، وعشيرة تحميهم، ومنطلقاً للدعوة يجعلهم يجابهون أعداء الله بقوة دفاعية جديدة بدأت باللسان شعراً، ثم السنان قتالاً وقوة.

وعندها شعر المشركون أيضا أن محمداً. . صلى الله عليه وسلم. . وأتباعه بعدوا عن متناول أيديهم، وتسلط أشرارهم وجبابرتهم. . حيث يجدون في ذلك الإيذاء والتسلط تشفياً من الفئة المؤمنة، وتنفيساً عما خامر نفوسهم من حقد على الدعوة الإسلامية وأتباعها. . لأنهم يريدون اسكات هذا الصوت بالقوة، واماتة الدعوة المحمدية قبل انتشارها كما أخبر عنهم القرآن الكريم.

فبدأ مع الهجرة للمدينة نوع جديد من المجابهة بين شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وهم الذين يمثلون الفئة المؤمنة التي بدأ عددها يتكاثر، ورقمها يزيد، في منتجعهم الجديد، راسخ الأركان والقواعد. . بعد أن ألّف بينهم الإسلام، وآخت بينهم العقيدة. . من مهاجرين وأنصار.

مهاجرين فروا بدينهم إلى مأمن يؤدون فيه عبادة خالقهم بدون خوف أو وجل، أو تهديد وأذى.

وأنصار أفسحوا رحبات الدور والمنازل، وأوسعوا الصدور وبسطوا ما يملكون من رزق.

كل ذلك بذل هيناً ورخيصاً من أجل عقيدة جديدة وقرت في قلوبهم، وتعاليم ربانية استولت على مشاعرهم، وعهد أخذوه على أنفسهم في بيعة العقبة الأولى ثم الثانية، لنبي الرحمة ورسول الهداية محمد صلى الله عليه وسلم، عندما وضعوا أيديهم في يده في موسم الحج بأن ينصروه ويمنعوا عنه ما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم.. ومن هنا رسخت تعاليم الإسلام وأركانه في نفوسهم، وأرخصوا النفوس والأموال من أجل الدفاع عن الرسول الكريم ودين الله ثم نشره، ووقفوا أمام شعراء قريش يناوشونهم القول ويرشقونهم بالسهام.

فبعد أن حل محمد صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم في السنة الثالثة عشرة من البعثة استقبله صبيانهم وفتيانهم، ورددت أصداء فيافي طيبة أهازيج، تمثل ذلك النوع الجديد من المجابهة الكلامية بين مكة والمدينة، حيث بدأ الشعر يدخل المعركة دفاعاً ورداً وتفنيداً ثم هجوماً، لما في الشعر من دور في حياة العرب وأهمية كبيرة في أذهانهم.

وتقول تلك الأبيات:ـ

طلع البـدر علينـا
من ثنيـات الـوداع[1]

وجـب الـشـكـر علينـا
ما دعـا لله داع

أيهـا المـبـعـوث فيـنـا
جئـت بالأمـر المـطاع[2]

وكأن هذا الصوت يعلن استعداد المدينة الكامل بمن فيها من رجال ونساء للذود عن حمى الرسالة بقوة اللسان، إلى جانب حدة السنان، فالشعـر هو المعبر عن وجدان النفس، والمحـرك للمشـاعـر والهمم، ومن هنا جاء دور

---

(١) البداية والنهاية ٣ : ٢١٦، زاد الميعاد ٣:٢٠، البيان والتبيين ٤ : ٥٧.

(٢) البدر يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم في تعبير مجازي. والثنيات جمع ثنية والثنية هي الفتحة للمرور بين جبلين وثنيات الوداع اختلف فيها فقيل أنها في طريق عروة المتجه إلى جدة وقيل في جنوب المدينة، وقيل هي الفتحات في غرب المدينة في طريق المتجه من المناخه إلى حي سلطانـة ثم مقـر الجامعة الإسلامية. الأكثر رجحاناً والأقرب للواقع حسب دلاله المسيرة هي: ماكان جنوب مسجد قباء بحوالي ٥٠ متراً جوار بستان العباسية.

الكلمة الجادة الصادقة في زعزعة النفوس، وكسب الثقة ولذا قالت العرب في أمثالها: «**كلم اللسان أنكى من كلم السنان**» . .

لقد علم الأنصار، في أسعد أيامهم، وفي ذلك اليوم الذي يستقبلون فيه وافداً جديداً، اشرأبت أعناقهم إلى طلعته، وتطلعت عيونهم إلى الاكتحال برؤيته، في شوق ومحبة: هذه الأناشيد الحماسية من مشارف المدينة ووهادها، لتفصح عما يستطيع الشعر أن يشارك به في معركة الخصومة مع الأعداء، ذلك أن الأنصار ـ الأوس والخزرج ـ أرادوا أن يكون لهم قصب السبق في الجهاد باللسان، واشهار سلاح الشعر، مثلما حازوا قصب السبق في نصرة الرسول وأتباعه، بالجنان والديار فعبروا عن ذلك بالأخوة فيما بينهم، ومقاسمة المهاجرين المسكن والمأكل.

ولقد كان من أول السابقين إلى الإسلام في بيعة العقبة الأولى واحد من أكابر شعراء الخزرج، وممن عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصرة والتأييد، في صدق وثبات: إنه عبد الله بن رواحة.

فمن هو عبد الله هذا وما تأريخ حياته، وما دور شعره

في الحرب الدائرة بين مكة والمدينة أو بين الباطل والحق، وما سمات الجهاد في شعره، وريادته في هذا المجال؟

هذا ما سوف نحـاول تسليط الضـوء عليه في هذه العجـالة التى تنبىء عن دور الشعر في الجهاد الذى هو نموذج للكلمة الصادقة، والمعبرة المتزنة التى يحتاجها المسلم دائما، لتكون سندا له، وموجهة لأعماله.

نسبه ومكانته

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس الأنصاري الخزرجي، ويكنى بأبي محمد، ويقال بأن كنيته أبو رواحة ويقال أبو عمرو.

أمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة، خزرجية أيضا[1].

أحد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الثلاثة الذين كافحوا عن الرسالة، ودافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم، ووقفوا بشعرهم ضد أعداء الدعوة، والمبغضين لمحمد وأتباعه، حسداً من عند أنفسهم بعد أن نصبوا من أنفسهم أعواناً لشياطين الجن والأنس.

لقد قطع عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وصحبه من شعراء الأنصار، صلتهم بالجاهلية، وابتعدوا عن أعمالها، وأبغضوا من ينتمي إليها، بعد أن قطعوا على أنفسهم عهداً، وأعطوا من قلوبهم عقداً وعزيمة، بأن ينصروا رسول الله، ويمنعوا عنه ما يمنعونه عن أنفسهم وأولادهم.

---

(١) الإصابة ٢ : ٢٩٨، الاعلام ٤ : ٢١٧.

وها هو الرسول الكريم يحل بين ظهرانيهم، في وفاء منه بالانتقال فتنقلب المدينة، وهي الموطن الجديد للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأول هجرتهم، إلى خلية نحل، تجول في هواجس نفوس أبنائها دوافع الخير، والعمل لنصرة الوافد الجديد وما جاء به.

ولما كان الجهاد بالسيف لم يفرض بعد، فقد تسابق القادرون، وفي طليعتهم عبد الله بن رواحة، بجهاد اللسان، والذّب عن الرسالة، وحاملها بحماسته وحيويته، يتبارى في ذلك فرسان هذا الميدان من الأنصار، وفي الطليعة الثلاثة الكبار: حسان، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

وإن كان ما وصل إلينا من شعر عبد الله، يجعله أقل الثلاثة عطاء في هذا المجال ولعل هذا عائد إلى :-

- أنه أول من مات منهم في السنة الثانية من الهجرة.
- قلة ما حفظ من شعره لأن الاهتمام بالرواية جاء متأخرا.
- قد يكون مقلاً من الشعر بعد أن انصرف إلى تعلم أمور دينه وقراءة القرآن حيث نلمس من شعره الأبيات المفردة والمقطعات.

- زهده في الشعر متأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسترشدا بنظرة القرآن العامة إليه: **(والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لايفعلون)**[١].

(وما علمناه الشعر وما ينبغي له)[٢].

وسنتحدث عن هذا الجانب عند التعرض لشعره والمؤثرات فيه.

وكأن الله سبحانه وتعالى خص الخزرج وحدها بالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان وسلاحه القوي، في سبيل الدعوة، والذود عن حياضها، إذ هؤلاء الفرسان الثلاثة خزرجيون نسباً من جهة آبائهم وخزرجيون أيضا من جهة أمهاتهم، فلم يسر في عروقهم دم آخر.

وهو شرف عظيم أن تضطلع هذه القبيلة بمثل هذه المنزلة، وتحظى بهذه المكانة، كما حظيت به في المواقف القتالية عندما حاول أعداء الرسالة النيل منها في الغزوات المتابعة، والتحزبات المتلاحقة، في الخندق وبدر وأحد وغيرها.

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٢) سورة يس آية ٦٩.

بل عنـدمـا بدر العداء من اليهود والمنافقين في داخل المـدينة، لبثّ الوهن في الصف الاسلامى، وإشعار من يعرف نواياهم أن مكانة الإسلام تضعضعت، وأن محمداً يتخلى عنه أتباعه.

كانت ولادة عبد الله بن رواحة بيثرب، وهذا هو اسمها في الجاهلية، والذي لم يستحسنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فألف النـاس لهذا الموقع اسم المدينة، حيث أصبحت مدينـة الـرسـول، ومـوطن سكنه ومركز انبعاث دعوته، وطيبة حيث جاء في هذا الاسم حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لم نجد أحداً من الباحثين والمؤرخين أعطى تأريخاً معيناً لولادة عبـد الله بن رواحـة، كما هي عادة العـرب قبـل الإسـلام في عدم ضبط تأريخ مواليد أبنـائهم، لعـدم اهتمامهم، ولتفشي الأمية بينهم، وإن كان حظ عبد الله من تعلم القـراءة والكتابة بعد ما كبر كحظ زميله كعب بن مالك الذي كان يجيدها منذ عهد الجاهلية، مع أن الكتابة في العرب آنذاك قليلة، والاهتمام بها غير ذي بال.

لقـد بادر عبـد الله إلى الإسلام عندما وصلت أخبار

الدعوة إلى مشارف طيبة، فجاء إلى مكة ليشهد بيعة العقبة مع أول وفد قدم لمبايعة الرسول في أيام الحج، وفي العقبة بالذات، حيث تمت بيعة النصر والتأييد، في المنشط والمكرة والعسر واليسر.

وكان عبد الله أيضاً من أبرز هذا الوفد المتحمس لداعي الإيمان الذي وقر في قلوب أبنائه، حيث مست لذته مواطن الاحساس فيها، إذ هو واحد من النقباء الإثنى عشر.

وكان إلى جانب حرصه على القتال في سبيل الله بلسانه للدفاع عن الدعوة، والتصدي لأعدائها، ميالاً للجهاد في سبيل الله بجسمه، باذلاً جهده ودمه في هذا السبيل، فقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء، أما بدر الصغرى التي خرج لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد استخلفه الرسول الكريم أثناءها على المدينة.

وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس سرية قوامها ثلاثون راكباً إلى أسيد بن رزام اليهودي بخيبر فقتله[١].

---

(١) شرح شواهد المغني ١ : ٢٢٨.

ثم بعثه إلى خيبر ليخرصها فكان يأتيها كل عام، وكان عادلاً في ذلك رغم محاولة اليهود رشوته حيث ردهم رداً منكراً[1].

هذا في مجال الحرب حيث عرفت عنه الشجاعة المتناهية، والمحبة الأكيدة لمصاحبة الرسول، أو الامتثال لأمره وتوجيهه. كما تعطي بعثته لخيبر توضيحاً عن مركزه الإداري ونزاهته عما في أيدي الناس، وعفته عن تدنيس صفحته البيضاء بنور الإسلام، عن أن تمسها أرجاس اليهود، ومحاولاتهم الدنيئة، ولئن كانت طباعهم الفساد والإفساد، فإنهم صدموا بقلب مليء بالإيمان متشبع بدروس المدرسة المحمدية.

فكان نعم التلميذ لخير معلم وموجه.

وفي مجال الأمانة على الأسرار، والحرص على تبليغ الأمانة على وجهها، ليفرح قلوب الفئة المؤمنة، يرسله النبي صلى الله عليه وسلم بشيراً إلى أهل العالية بالمدينة، بما يحقق الله لرسوله من نصر مؤزر في بدر، ليطمئن قلوبهم، ويريح نفوسهم، ويزيل ما علق بأذهانهم من هواجس،بعد ما عرفوا عن تجمع المشركين، وحماستهم ضد محمد وأصحابه.

---

(١) انظر فتوح البلدان للبلاذري ١ : ٢٦.

وفي مجال النسب والقرابة فإنه خال للنعمان بن بشير، وأخ لأبي الدرداء من أمه، الذي تخلف عن دخول الإسلام فترة من الزمن، وقد عز على عبد الله بن رواحة أن يدخل الإسلام كل بيت في المدينة إلا قلب أبي الدرداء الذي لا يزال عاكفاً على صنمه يطيبه ويغسله، رغم محاولاته المتعددة معه بجذبه للإسلام، وإدخاله في حظيرته، كجزء من الرسالة التي حمله إياها دينه الجديد، الذي وقر في نفسه، واطمأنت إليه هواجسه، بضرورة الدعوة إليه، وعدم السأم والملل في سبيل ذلك.

وعندما رأى أن جهوده لا تجدي فتيلاً مع أخيه، أراد أن يجرب أسلوباً جديداً، فاغتنم فرصة غياب هذا الأخ عن البيت، وجاء عبد الله إلى صنمه فقطعه إرباً إرباً وهو يقول:ـ

تبرأ من أسماء الشياطين كلها
ألا كل شيء ماخلا الله باطل

وبعد ما عاد أبو الدرداء أخبرته زوجته بما فعل عبد الله، ونظر إلى حطام صنمه، وقال لو كان عند هذا خير لدافع عن نفسه، وانطلق معه وأسلم.

وفي هذا دلالـة على رجـاحة عقل أبى الدرداء[1] وأثر الحلم في نفسه، وأسلوب عبد الله في الدعوة والجهاد.

ويكفي عبد الله بن رواحة رضى الله عنه مكانة، مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم له فقد قال فيه: نعم عبد الله بن رواحة، ويقول: رحم الله ابن رواحة أينما أدركته الصلاة أناخ.

ومـا ذلـك إلا لأن عبـد الله قد دخل الإسلام بقلب صادق، وعزم ثابت، فكان نموذجاً في العمل، حريصاً على التـطبيق، وهـا هو بعـد أن استشهـد يذكره أبو الدرداء بأحسن ذكـر، لدوره أولاً في جذبـه للإسلام، ثم لربطه بعقيدة الإيمان في كل يوم من أيام لقائهما، يقول أبو الدرداء رضى الله عنه: أعوذ بالله أن يأتي عليّ يوم، لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان إذا لقيني مقبلاً ضرب بين ثديي وإذا لقيني مدبـراً ضرب بين كتفي ثم يقول: ياعويمر - وهـذا هو اسم أبي الـدرداء.. اجلس فلنؤمن ساعـة، فنجلس فنذكر الله ماشاء، ثم يقول: ياعويمر هذه مجالس الإيمان[2].

---

(١) انظر أسد الغابة ٣ : ٢٣٥.

(٢) نفس المصدر.

صفاته

إن من يستقرىء سيرة هذا الصحابى الجليل، وما جاء عنها في كتب التاريخ والسير، أو ما استعرضه وحلله الدارسون للتراث الأدبى قديمًا وحديثاً، ليستطيع أن يستخلص من ذلك نماذج فريدة من الصفات التي قلما تتوافر إلا في خصائص من الرجال، وتتحلى الصفات البارزة في حياة عبد الله بن رواحة والتى تعطيه سمة مميزة له في مثل:-

١ - شجاعته، فهو لايهاب الأعداء، ولا يخاف الموت، مقدام لا يتوانى عن طلب المبارزة في المعارك، كما حصل في غزوة بدر عندما خرج مسرعاً للمبارزة بعد أن دعا إليها عتبة بن ربيعة[١]. ومثلما عرف عنه في معركة مؤته، لأنه رضى الله عنه يحب الشهادة وحريص عليها في سبيل الله، حيث صار يردد رضى الله عنه بعدما أخذ الراية بعد جعفر بن أبي طالب:-

(١) السيرة النبويةً لابن هشام ٢ : ٢٧٧.

يانفس إلا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت[1]

وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلي فعلهما هديت[2]

وقد وهبه الله الشهادة فقتل رضى الله عنه بعد صاحبيه، في صلب المعركة، وهو يحث المسلمين على قتال الروم مقبلين غير مدبرين.

٢ ـ كان محباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مدافعاً عنه بكل ما يملك من مقدرة كلامية بالشعر، أو قوة بدنية بالسلاح، ففي الغزو كان أول خارج إليه، وآخر قافل منه، وفي الشعر انصهر حب الرسول والإسلام بقلبه ودمه، كما سنرى في الخطوات مع شعره الإسلامي، ومن شعره في الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في مثل قوله :ـ

---

(١) حمام بكسر الحاء شدة الموت، وتطلق الحمام وحدها على الموت أيضاً. وتأتي بمعنى الحار، فحمام الماء غليانه وحمام الموت حرارته.
صليت فعلها صلى يصلي في اللحم شواه أو ألقاه في النار. ويده بالنار سخّنها. وصلى النار صليّا أي قاس صهرها [القاموس].

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٢١.

انى تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر[1]

فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بعدما سمع هذا منه، وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة، وفي هذه الدعوة النبوية قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسن الثبات، فقتل شهيداً وفتحت له أبواب الجنة، فدخلها شهيداً[2].

٣ ـ حريص على التمسك بدينه، ودفاعه عنه، يجعل ذلك بين عينيه في الجد والهزل ولعل قصته مع جاريته التي كان يخفي اتصاله بها عن زوجته دليل يبرز ذلك، فقد

---

(١) أزرى: بالأمر تهاون به، وأزرى بأخيه أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يلبس عليه به [القاموس].
(٢) أسد الغابة ٣ : ٢٣٥ وسيرة ابن هشام ٤ : ١٦ مع اختلاف في رواية الأبيات.

أتانا رسول الله يتلو كتابه
كما لاح مشهور من الصبح ساطع[١]

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع[٢]

يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وأعلم علما ليس بالظن أنني
إلى الله محشور هناك فراجع[٣]

شكت زوجته في ذلك، وطلبت منه أن يقرأ قرآناً إن كان ظنها صادقاً في اتصاله بها لأن الجنب لا يحل له قراءة القرآن، فقال على الفور:ـ

---

(١) مشهور: المشهور المعروف المكان المذكور والتبيين، ومشهور من الصبح يريد به انبلاج ضوئه الذي لاخفاء فيه يوضح أن وضوح رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عندما جاء بها غير خافية على الشاعر وعلى من في قلبه رغبة في الحقيقة كما أن الصبح غير خاف ظهوره.

(٢) يريد بالعمى الجاهلية.

(٣) في هذا البيت إيمان يقيني من الشاعر بالبعث واليوم الآخر الذي كان ينكره المشركون قبل الدعوة الإسلامية.

فهـدأت ثائرتها، وقالـت آمنت بالله، وكذبت بصري، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه[1].

٤ ـ صدوق في حديثه لايقول إلا حقاً، مجتنباً مايشين هذه الصفة، لأنها تزري بالرجل المسلم، وهو كغيره من الصحابة قد حرصوا على أن يطبقوا أوامر دينهم عملاً، وأن يجعلوا تعليماته، نموذج سلوك، ففي حديث رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
(**إن أخاً لكم لايقول الرفث**). يعني بذلك عبد الله بن رواحة حيث يقول:[2]

وفـيـنـا رسـول الله يتـلو كتـابـه
إذا انشق معـروف من الصبـح ساطـع

٥ ـ سريع البديهة، حاضر القلب، قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، (**ليأتينكم وقد لقن حجته**)[3].

(١) شرح شواهد المغني للسيوطي ١ : ٢٩١ جمع الجواهر للحصري ٣١.
(٢) شرح شواهد المغني ١ : ٢٨٩.
(٣) شرح شواهد المغني ١ : ٢٩٢ وفي هذا رواية أخرى للبيت الأول عما مر من قبل.

٦ ـ حريص على طاعة الله، وطاعة رسوله، فقد أخرج البيهقي في الدلائل أن عبد الله بن رواحة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يخطب، فسمعه يقول: اجلسوا فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ النبي من خطبته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله[١].

٧ ـ كثير العبادة، حريصاً على تنوير بيته بالصلاة حسبما سمع عن النبي، فكان يصلى ركعتين عندما يدخل بيته، ومثلها عندما يهم بالخروج منه.

وكثرة العبادة دلالة على عمق في العقيدة، وصدق في حسن الاستماع، واستجابة لداعي دين الله، وطاعته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

٨ ـ كثير الخوف من نار جهنم، والتفهم لمعاني القرآن الكريم بنظرة الفاحص والمدقق، الواضع لكل أمر أهبته، ولكل كلمة مدلولها: فقد حدث ابن اسحاق عن عروة بن الزبير أن الناس عندما ودعوا عبد الله بن رواحة في طريقه

---

(١) أسد الغابة ٣ : ٢٣٥.

مع الجيش الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مؤته، بكى عبد الله، فقالوا له: ما يبكيك ياابن رواحة؟. فقال أما والله مابي حب الدنيا، ولا صبابة إليها، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: «**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضياً**»[1] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟. فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا صالحين، ودفع عنكم، فقال ابن رواحة:ـ

لكـــنـــي أســأل الــرحمــن مغــفــرة
وضربــة ذات فرغ تقــذف الــزبــدا[2]

أو طعــنــة بيــدي حران مجهــزة
بحــربــة تنفــذ الأحشــاء والكبــدا[3]

حتــى يقــولــوا إذا مروا على جدثــي
ياأرشــد الله من غاز وقــد رشــدا[4]

---

(١) سورة مريم أية ٧١.

(٢) ذات فرغ: ذات سعة. والزبد هنا: رغوة الدم.

(٣) مجهزة: سريعة القتل. وتنفذ الأحشاء: تخترقها.

(٤) الجدف والجدث: القبر، وجاء هذا العجز في رواية: يا أرشد الله من غاز وقد رشدا.

ثم أتى عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه وسار مع الجيش[1].

ومن هذه الصفات يبرز أمامنا صدق إيمان عبد الله بن رواحة، وتعاطف قلبه ووجدانه مع الرسالة وحاملها صلى الله عليه وسلم، ووعيه لدقائقها، وهيمنة ذلك على هواجسه وانفعالات نفسه، حيث عبر عن ذلك شعراً، مع أنه مقل منه فيما يظهر من الأعمال القليلة التى رصدتها كتب السير والأدب، مع حرصه على اختيار العبارات والكلمات المتأثرة بالعقيدة الجديدة التي وقرت في قلبه.

وسنتناول ذلك بشيء من البسط والإيضاح عند الحديث عن شعره.

---

(١) نفس المصدر ٣ : ١٣٦ ـ ٢٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٤ : ١٥ ـ ١٦.

سيرته ومكانته في الجاهلية

لئن كان قد ضاع من سيرة عبد الله بن رواحة الشيء الكثير مما يتعلق بولادته وتربيته، ثم نشأته وسيرته في قومه، كما ضاع غيره من معلومات عن رجالات العرب والإسلام، لعدم الاهتمام بالرصد أو التدوين، ولأن مافي حياة أكثر الناس، لايعدو أن يكون سيرة ذاتية عادية تماثل غيرها من حياة أفراد المجتمع.

إلا أننا نعزو عدم الاهتمام بالرصد أو التسجيل ولو من باب الذكريات، أو ذكر الوقائع بمناسبتها، جاء من الاهتمام بتتبع وتعلم هذا الدين الجديد الذي انصهرت به نفوس أولئك القوم، بعد أن أحسوا طعم الإيمان، وبعد أن أنقذهم الله من الضلالة، وأبعدهم عن الغواية، فكان لزاماً اغتنام الفرص، ومواكبة حركة القوة بالمدافعة عن هذا الدين الذي أحبته نفوسهم، وتفاعلت به عواطفهم، ومن أجله نسوا كل شيء في سبيله وهانت عليهم الدنيا وما فيها، لئلا ينال منه، أو يمس الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأذى، وهذا من باب الوفاء بالعهد بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه.

ولذا كانت حياة عبد الله بن رواحة وهو نموذج صادق للفئة التي آمنت بربها: جهاداً في جهاد، جهاداً في سبيل العقيدة بالروح والنفس، ومجاهدة لأعدائها باللسان واليد في حركة دائبة، وحرص على التنفيذ بإلحاح ومحبة.

وما يتبقى لديه من وقت يلازم فيه مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحلقات التفقه في دين الله.

ونستطيع أن نلخص سيرته في الإسلام وبعد أن دخل في حظيرته، مع أن العمر الزمني قصير، منذ أن أصبح واحداً من النقباء في بيعة العقبة، ووضع يده مع نفر من قومه في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبايعاً ومعاهداً على النصرة والتأييد، وعلى الوفاء والصدق - إلى أن قتل شهيداً في معركة مؤته بأرض الشام - والأردن حالياً.. متسلمًا راية الجيش، كثالث قائد لهذا الجيش، يقتلون واحداً بعد الآخر وهم صابرون صامدون، يطمعون فيما عند الله، ويستشرفون للشهادة التي نالوا.

هذه الفترة الزمنية القصيرة في عمر الزمن، كانت مليئة بالأحداث والشعور الفياض من عبد الله بن رواحة وهي التي تمثل سيرته في الإسلام إجمالاً.

نقول أننا نستطيع أن نجملها في عناصر ذات أثر في حياة الفرد المسلم، الذي يريد أن يدرس حياة أولئك القوم من الصفوة الأولى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فيجد في حياتهم مثلاً يحتذى، حيث استطاعوا السيطرة على نوازع النفس، ومغالبتها للإنقلاب من حالة إلى حالة، والسير عن طواعية ورضا، وارتياح وهدوء، وفق ماترسمه تعاليم الإسلام، وما يأمر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولولا أن أصحاب تلك النفوس - وعبد الله بن رواحة - واحد منهم - لديهم نفوس شفافة، وقلوب واعية، لما استطاعوا التغلب على جذور عاشت في أعماقهم فترة طويلة من سنى حياتهم، ولكنه الإيمان عندما يلامس بشاشة القلب، وتنصهر به النفس، يحول الإنسان من حال إلى حال، وفي فترة وجيزة تتغلب على جميع المقاييس والمعادلات المعهودة لدى البشر.

فماذا نجد من العناصر البارزة في حياة وسيرة عبد الله بن رواحة الإسلامية وهي فترة زمنية لا تصل إلى عشر سنوات..

إننا نجد أشياء كثيرة أبرزها:ـ

- استجابته للإسلام منذ بيعة العقبة، والوفاء بذلك العهد الذي أعطاه للرسول صلى الله عليه وسلم، والتمسك به طوال حياته.
- التزامه مجلس رسول الله ليأخذ ويسترشد، ويتفقه في دينه ويتزود من منابع المعرفة، ـ ليعلم ثم يطبق، وكان مع حرصه على الأخذ، شديد الالتزام بالعمل، فقد جعل من بيته موطن عبادة، ومن نفسه داعية للدين، ومن جهده ساعات تأمل وتدبر، ومن شعره مدرسة جديدة تهذب الطبع، وترقق الشعور، استقى ذلك من رقة الإسلام وحرصه على الخير فلا يقول الفحش بل يبتعد عما تنبذه تعاليم الدين.

فقد عرفنا من سيرته استقباله المنزل بالصلاة ثم توديعه بالصلاة، وقيامه على من حوله بالدعوة إلى دين الإسلام، كما فعل مع أخيه أبي الدرداء، فمزق صنمه، وحطم مأوى ـ فؤاده وكانت فرصته ليراجع ذلك الأخ نفسه، ليحكم عقله، فيوفقه الله ويسلم ليصبح من علماء الصحابة وأرجحهم عقلاً.

ثم في تحينه أي فرصة تسنح ليجعلها راحة قلب،

وساعة تأمل، تزيده وأخاه إيمانا، وتشدهما إلى العقيدة الصحيحة انتي دخلاها عن طواعية.

وبلحظات التأمل الإيماني ترتبط النفوس بخالقها وتتفاعل الأحاسيس مع مبدعها في فهم عميق للدعوة الربانية للإيمان: بالتدبر والتأمل، كما تتحدث كثير من الآيات القرآنية، داعية وحاثة.

وهذه النظرة التأملية من عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ذات عمق بعيد الغور، وإحساس قلما يتذوقه إلا فئات معينة من البشر، جعلت أبا الدرداء يتذكر أخاه في كل يوم لأنه يعينه على إذكاء النفس وكبح جماحها.

وإذا كان عبد الله بن رواحة قد جعل من نفسه استجابة متكاملة لداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر يوجهه إليه محبة واستجابة، فإنه لم يتوان عن أي مهمة قتالية يندبه إليها سواء كانت في غزوة معه صلى الله عليه وسلم أو في سرية يَكِل أمرها إليه.

فقد كان مثالاً لتسخير النفس في أي اتجاه تسير إليه لا يتبرم أو يتأفف، يحرص على التنفيذ ويسعى جاهداً في أداء الواجب في اسلوب يسمى بالعرف العسكري الحاضر ـ

الطاعة العمياء ـ لكن طاعة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه تختلف عن ذلك المفهوم فالطاعة العمياء في عرف أهل هذا الزمان تعني نفذ ثم اسأل.

أما طاعة عبد الله، فطاعة الواثق من صدق الآمر، وصلاحية الأمر، واستقامة الأحوال به، لأنه هو الأصلح، فهى استجابة لله وفق أمره بطاعته وطاعة رسوله، وطاعة أولى الأمر الذين جعل الله قيادة الأمة منهم، وما ذلك إلا لأن تعاليم الإسلام صهرته، فسار على دربها ووفق ما تأمر به، لقناعته الوجدانية بأن الإسلام لا يأمر إلا بخير، سواء ظهر السر أو خفى.

ـ نكرانه لذاته، وعدم حرصه على ما يطلق عليه في العرف الحاضر حب الظهور، فنراه ـ تارة جندياً مجاهداً كأي واحد من أفراد ذلك الجيش، وطوراً يوكل إليه مهمة شاقة وقاسية فينفذها بأمانة وحرص، ومرة يعهد إليه بخرص الثمار في خيبر، ومع أشد البشر عداء لله ولرسوله ولعقيدة الإسلام، مع اليهود فيحاولون كما هي عادتهم إثارة البلبلة بالتشكيك في عدالة الخرص، والبرهنة على الرغبة في ظلمهم، فيقولون له: ماعدلت؟. لكنه يجيبهم في ثقة المطمئن إلى العمل، وبقين المرتاح نفساً للجهد الذي

تولى: بأن عليكم الاختيار إذا شككتم في الحيف، أو ساورتكم الظنون في الجنوح ضدكم.

ولا يسعهم بعد أن سد عليهم المنافذ إلا الاعتراف بأن هذا الرجل يمثل عدالة الإسلام بجهده، ورجاحة العقل بردِّه، وقوة العقيدة لثقته من عمله، الذي راقب فيه خالقه أولاً وقبل كل شيء، فيقولون له: بمثل هذا قامت السموات والأرض.

وهذا العمل البسيط من عبد الله بن رواحة، وفي هذه المهمة التي عهد بها إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشد الرحال إليها من المدينة إلى خيبر، تمثل ميزان العدالة في نفسه، والتي تشبع بها من روح الإسلام وتعاليمه، فكان قاضياً عدلاً، وحكماً منصفاً.

ثم نراه في كل معركة قتالية يبادر إلى المبارزة، ويسعى جاهداً لمقارعة الفرسان، لأن حبه للشهادة، ورغبته في الفروسية ملكا عليه مشاعره، ولذا نراه وهو القائد في معركة مؤته يضرب النموذج لجنوده في الإقدام، فيجمع ما يتساقط من دمائه في راحتيه، ويمسح به وجهه، لأنه أدرك من الموقف قرب الشهادة، وآنس من نفسه سرعة المفارقة لهذه

الحياة الدنيا، فأحب أن تتكاثر الدماء في جسمه لتشهد له بموقفه الفذ، وليأنس برائحة ذلك الدم في مثواه الأخير، حيث وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه: اللون لون الدم والريح ريح المسك.

وتلك المنزلة هى أسمى ما تتمناه النفوس، وأرقى ما تشرئب إليه الأعناق، وقد عبر عن ذلك في شعره تواجداً وإحساساً، وتحبيباً للآخرين للاقتداء به في هذا الشعور، وإذا كانت النفس تحب الهزج والترنيم فإن خير ما تسجع به كلاماً حسناً، وشعراً لا لغو فيه ولا فحش

هذه نظرة عامة عن سيرة عبد الله بن رواحة الحافلة في فترة العمر الزمني من حياته بعدما أسلم، يحرك عواطفه تلك وأحاسيسه شعر رصين، وعبارات كلها رقة وتأمل، فهي عبادة في المعنى، وعبادة في الإحساس، وعبادة في اللفظ والتعبير، لأنه يعرف أن كل شيء محصى، وكل عبارة مقيدة، فجنّب شعره الكلمات التى تربط الإنسان بالدنيا فضلاً الملذات الزائفة، فجعل كل شيء يسير بحذر وحيطة، في الحركة والقول، في الإحساس والتأمل.

ومن هنا قلّ شعره مع أنه شعر جهادي، وكثر عمله البدني وتعمق في تأملاته..

وهـذه السيرة استوحاها من مصدري التشريع اللذين ارتبط بهما: كتاب الله.. وهدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فالقرآن الكريم نظر إلى الشعر بما تختلف به مقاييس العرب واهتمامهم به، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ما كان يحب الشعر أو يقوله، وقد انعكس هذا الإحساس على طباع ابن رواحة وعاداته، ونظرته للشعر.

أما قبـل الإسلام، فقد كان الصراع على أشده بين قبيلتي الأوس والخزرج، وكان بينهما وقائع وحروب، ولم يكن عبد الله بن رواحة، وهو واحد من أبرز رجالات قومه، ليكون بمنأى عن تلك التفاعلات، أو المشاركة في تلك الأيام، وخوض غمار حروبها، باليد في المعارك الدائرة بين الأسرتين المتقاربتين نسباً وسكناً، وباللسان في الدفاع شعراً عن قبيلته، والرد على شعراء الخصوم لإبراز المآثر والمفاخر.

لقـد جاء في كتـب التـاريخ والأدب أن بين الأوس والخزرج خصومات ومماحكات، كغيرها من القبائل العربية التي تتصارع عند أتفه الأسباب، وتثور المعركة القتالية بينها لذلك والتي يسقط بسببها كثير من القتلى، وهذا ما حصل بين هاتـين القبيلتـين المتجاورتين سكناً ونسباً، عند مجرد كلمة أو تصرف بسيط.

ولا بد أن الشعر بينهما سيكون سلاحاً فتاكاً كما هو واقع الحال في الجزيرة العربية عموماً، إذ جميع شعراء الجاهلية من هذا النوع، فقد خاضوا غمار المعارك الكلامية هجوماً على أعدائهم، ودفاعاً عندما يهاجمون، فساعة للشاعر وساعة عليه، وهو في الحالين يزداد قوة وإدراكاً لمواطن جديدة في شعره ليحسنه، وفي شعر خصمه ليناقضه، ويحاول التغلب عليه في الفكر أو اللفظ وفي الأسلوب أو الدلالة.

ومن الأيام الشهيرة بين قبيلة عبد الله بن رواحة في الجاهلية، وبين الأوس: أيام ذكرها ابن الأثير في الكامل: كلها صولات وجولات، ودماء تسيل، تارة تتغلب الأوس، وطوراً تكون الغلبة للخزرج والطرفان يخسران رجالاً وجهوداً، ويكسبان عداء وشحناء، حتى جاء الإسلام وأزالها فتصافوا وتآلفوا وانقلب بغضهم محبة، وعداوتهم ألفة ومودة. وسنذكر أسماء تلك الأيام فقط، أما تفاصيل وقائعها الحربية، وما قيل فيها من أشعار فهي لدى ابن الأثير في تاريخه[1] وهذه الأيام هي:-

---

(١) لراغب التوسع الرجوع للكامل جـ ١ ص ٦٥٥ إلى ٦٨٤.

١ - يوم سمير.
٢ - حرب كعب بن عمرو المازنى.
٣ - يوم السراة.
٤ - حرب الحصين بن الأسلت.
٥ - حرب ربيع الظفرى.
٦ - يوم فارع.
٧ - يوم حاطب، وهذا اليوم بينه وبين يوم سمير وهو أولها مائة سنة مما يدل على طول الحروب الدائرة بين هاتين القبيلتين.
وأيضاً فهذا اليوم هو أشهرها وقد حضره عيينة بن حصن للإصلاح بين القبيلتين ولكنه عجز.
٨ - يوم الربيع.
٩ - يوم البقيع وهو بقيع الغرقد الذي حوله الرسول الكريم إلى مقبرة.
١٠ - يوم الفجار الأول.
١١ - يوم معبس ومضري.
١٢ - يوم الفجار الثاني.
١٣ - يوم بعاث، وقد ذكر بن الأثير به قصيدة لعبد الله ابن رواحة، كما كان له قصيدة في يوم بقيع الغرقد وغيرها من الأيام.

ذلك أن شعراء الجاهلية يتفاعلون مع الأحداث المحيطة بهم، ويفصحون عن ذلك بأحاسيسهم والتعبير عن مكنونات نفوسهم.

والنقاد يعتبرون الشعر هو صحيفة العرب الناطقة بلسانهم، والمعبرة عن خلجات نفوسهم. وعبد الله بن رواحة لن يكون بمعزل عن تلك الأحداث التي هزت قومه وأبناء عشيرته، ولم تترك بيتاً إلا دخلته ولا قلباً إلا كلمته بويلاتها ونتائجها.

فهو شاعر والشعراء من أكثر الناس إحساساً وأدقهم ملاحظة، فالأحداث التي تكتنف قومهم وتزعج أبناء جلدتهم تترك لديهم أثراً في الدفاع والذّب.

ولذا فإن كل قبيلة يمر بها أمر أو ينزل بها مصائب، أو تريد الافتخار بما حقق أبناؤها من مكاسب في أحد الأيام التي حصلت وبين غيرها، تستمد قوة التعبير من شاعرها، وتلجأ للتحرك بقوة بيانه وبلاغته.

وإذا كان لايقدم في القوم إلا خيارهم فإن الشعراء من الخيار في أعراف العرب، لما لهم من تأثير فيهم في الإيجاب أو السلب.

وقديمًا كان العرب في الجاهلية يفتخرون ويبتهجون بنبوغ الشاعر منهم، لأنه هو الذي يدافع عنهم ويظهر اسمهم عالياً، ويرفع مكانة قومه بين القبائل، وكم سمعنا عن قبيلة كان اسمها خاملاً حتى جاء شاعر منها أو من غيرها ليعلى قدرها بين القبائل كقبيلة أنف الناقة التي صارت تفخر بهذا الاسم بعد أن قال فيهم الشاعر:ـ

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم
ومن يسوِّي بأنف الناقة الذنبا

وعكس هذا بنو نمير الذين صاروا يخجلون من انتسابهم إليه بهجاء جرير عندما قال في الشاعر الراعى النميري (٠٠٠ ـ ٩٠ هـ):ـ

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا[1]

أو قبيلة باهله التي سقط اسمها عند القبائل العربية لإكثار الشعراء فيهم قدحا، وتعديد مثالب من ذلك قول رجل من بني عبد القيس:ـ

---

(١) ديوان جرير ص ٦٣.

أباهل ينبحني كلبكم
وأسدكم ككلاب العرب

ولو قيل للكلب ياباهلي
عوى الكلب من لؤم هذا النسب[1]

ومع أكثر ما وصل إلينا من هذه الأشعار قدحاً في القبائل والذي كان في العصر الإسلامي، إلا أنه ينبىء عن جذور جاهلية سارت عليها القبائل ذلك الوقت، واجتهد في تغذية بذورها الشعراء فهم المسجلون للأحداث، وهم الناقلون لصدى المجتمع والراصدون بأقوالهم لكل ما يتفاعل فيه إيجاباً أو سلباً، حسب الحالة المحيطة والعوامل المؤثرة.

ولذا فإنه لا يبرز من الشعراء إلا أجودهم وأقدرهم، لأن جودته أكسبته مكانة عند قومه وخصومهم فيما يبرز على الساحة من دفاع وردود.

---

(١) نسب هذه الأبيات مع أبيات غيرها في نفس الموضوع الأستاذ حسن الكرمي في كتابه قول على قول ٣٤٦ ـ ٣٤٩ لصاحب الكامل وللثعالبي.

وعبد الله بن رواحة قبل الإسلام مع قلة ما وصلنا من شعره ـ قد دخل مضمار الدفاع ـ بالشعر عن قومه، ومقارعة شعراء من يناوئهم، ثم الافتخار بمـآثر قبيلته، والاستعلاء على خصـومهم، بما حققوه من فوز في الأيام التي دارت بينهم وبين القبائل الأخرى، كما يفعل أقرانه من الشعراء، ممن وصل إلينا خبرهم، أو رصدت أشعارهم.

وهو مع قلته ينبىء عن شاعرية فذة وقدرة متمكنة.

ولن ندخل في توضيح لذلك الشعر، أو تحليل لما فيه من آثار، لأن هذا يخرجنا عن موضوعنا وهو الجانب الإسلامى في شعر عبد الله بن رواحة، والدفاع عن الدعوة ومقارعة خصومها، بسلاح يماثل سلاحهم، بل أمضى منه وأقوى حجة.

وإنـما أردنـا في عرضنـا عن الأيام الدائرة بين الأوس والخزرج، الدخول إلى أن هذه الحروب التي دامت أكثر من مائة عام لابد أن تترك آثاراً لدى عبد الله بن رواحة، وهو الـذي تحركت شاعـريتـه في الأيامٍ التي حضرهـا، فجاد بقصائد نفثها حمية عن قومه، ودفاعاً عن عشيرته وهي دليل على أن من تحرك حمية في الجاهلية من أجل قومه، فلابد

أن تنمو عنده الحمية أكثر، ويدافع بحماسة أعمق عن عقيدة الإسلام.

لوجود فارق كبير بين المعادلتين، وهو تغلغل الإيمان في نفسه، ودخول عقيدة الإسلام سويداء قلبه وشعوره بتغير حالة بحالة، حالة الجهل بحالة العلم، وحالة الظلمة بنور اليقين، وحالة العمل بدون هدف إلى العمل من أجل الآخرين، محبة لله ولرسوله وطمعاً في عدم ضياع ساعات - العمر الباقية والقصيرة بدون أجر عند الله.

ويعمق هذا شعور باطني مبعثه المحبة التي ملكت عليه مشاعره لهذا الدين الجديد، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي جاءه بالهدي القرآني، ثم بما أعطاه على نفسه هو ورفاقه، من عهد وميثاق بأن ينصروا محمداً صلى الله عليه وسلم، إذا هاجر إليهم ويمنعوا عنه ما يمنعونه عن أنفسهم وأولادهم وأموالهم.

إن من دافع عن قومه في الباطل، وتألم من الوقائع التي تكررت عليهم سنين متطاولة، لابد أن يحصر نفسه في بذل جهد أكبر للدفاع عن الحق، والتحريض على السير في الدرب الذي يأمر به الله - ورسوله، ويوصل إلى نهاية ذلك الطريق الذي هو الحق من عند الله فهو السبيل والغاية.

لأن بين الحالين فرقاً، فالدفاع عن العشيرة، وتعداد محامد القبيلة، ومحاولة النيل من الخصوم، وتهوين المكاسب، ومقارعة الشعراء من الطرف المعادي، كل هذا تتضاءل مكاسبه، التي تعود على الشاعر نفسه، والتي لاتعد وأن تكون جائزة تعطى أو إشادة في المحافل، وتذكيراً في المنتديات.

هذا في العرف الجاهلي، أما بعد الإسلام فقد تبدلت الحال، وتغيرت المقاييس، ذلك أن الشاعر قد أدرك عن دين الإسلام الجزاء والعقاب، والنتيجة الأخروية عند الله، فصارت معاييره في القول من صدق أو مبالغة، تخضع لأوامر الدين، ومقايسة للنتيجة تنبع من مصادر التشريع الإسلامي، ـ وعباراته وألفاظه توزن في قالب الجزاء والعقاب عند الله، فهناك حياة أخرى، وهناك جنة ونار، وهناك أعمال تحصى، وتكتب، كل هذا غيرته معالم الإسلام الجديدة وتأثرت به النفوس، بعد أن عرفت حقيقة الإسلام وارتبطت به عقيدة وأسلوب حياة.

فصار الشاعر يتحسس مواطن الألم، ويتحرى الصدق والواقعية في العلاج، لأن المحمدة الوقتية ليست هدفه، والنتيجة السريعة لم تكن غايته.

أصبح الشعر عند عبد الله بن رواحة وأضرابه من شعراء الإسلام، له مطلب يختلف عن مطالب الجاهلية، ونظراتهم إليه تختلف عن نظرات عبدة الأصنام.

فتناسى السابق، وفتح صفحة جديدة أوسع وأرحب.

تحول الشعور الفردي إلى حماسة جماعية، وتغيرت المطالب القبلية بالغلبة والتحكم، إلى نظرة شاملة لإصلاح الجميع ونقلهم من حالة إلى حالة، وصارت النفس تبحث عن الجزاء الأوفر وتتحرى النتيجة الحتمية وهو الموت، ولكن في سبيل الله ومن أجل الدفاع عن العقيدة.

ومجمل القول: أن شعر عبد الله بن رواحة الجاهلي، في ذكر محامد قومه، والدفاع عنهم ومقارعة شعراء الخصوم، قد ضاع أغلبه، ولم يبق منه إلا أبيات قليلة تنبىء عن تفاعله مع الأحداث المحيطة به، وحرصه على الدفاع عن قومه وتحركه فيما أرّق عشيرته، وأقلق راحتهم، والقليل ينبىء عن الكثير، والإحساس يصور التفاعل.

وفاته

لكل إنسان في هذه الحياة نهاية، سنة الله في خلقه، لكن هذه النهاية تختلف بحسب المنازل التي يريدها الله لكل فرد في هذه الحياة الدنيا.

إلا أن هناك مقياساً يدركه المسلم العارف لربه، والمتمثل لتعاليم دينه، وهو حرصه صادقاً بأن تكون نهايته إذا أرادها الله على أكرم منزلة وأنصع وجه.

وقد جعل الهدي القرآني الشهادة في سبيل الله أكرم المنازل عند الله: **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون** (سورة آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧٠).

لم تكن مثل هذه الآيات لتفزع قلب عبد الله بن رواحة، وهو الشاعر الحساس المرهف والشجاع المقدام الذي لا يهاب الحروب، كما أن ما يراه ويسمعه من رسول الله من ذكر لمنازل أناس من اخوانه في الإسلام، سبقوه إلى

الدار الآخرة دفاعاً عن دين الله، ورغبة فيما عنده سبحانه من أجر تقوي عزيمتة، وتثبت جنانه.

كل هذا وأكثر منه لم يكن ليمر على عبد الله دون أن يعي قلبه النتيجة، وتتمنى نفسه الفوز بتلك المنازل، التي أعدها الله لمن يعمل عمل أولئك السابقين، ويتأسى بسيرتهم. ولذا كانت الشهادة هي أمنية عبد الله بن رواحة، وهواجس نفسه.

وما إن جاءت غزوة مؤته، حتى أحس عبد الله كأن هذا هو الموعد المحدد لانطواء الأجل، وهي فراسة المؤمن، التي قلما تخلف.

وقد عبر عن ذلك شعراً عندما ودع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، هذا الجيش المتجه إلى مؤته في ديار الشام، ذلك الشعر الذي أبان عن أمنيات عبد الله في الموت الآتي لا محالة، بأن يكون على الصورة التي تبلغه المنازل، وترفعه الدرجات عند الله..

فإذا كان الناس، قد ودعوه طالبين له من الله أن يرده وصحبه صالحين، كما هو شأن المودع في كل عصر ومكان، بأن يدعو للغائب بالعودة سالماً، لتقر العيون برؤيته بعد الغياب، وسماع صوته وأخباره بعد الفراق.

فإن عبد الله يتمنى غير ذلك ويسأل الله فوق ما سألوه عندما قال لهم:-

لكنني اسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا[1]

أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[2]

حتى يقال إذا مروا على جدثي
أرشده الله من غاز وقد رشدا[3]

والشهادة في سبيل الله أمنية عند عبد الله بن رواحة وهاجس مؤرق لنفسه، فطالما تمنى ذلك في كل لحظة من لحظات حياته، ولكنه في هذه المعركة أصبح كمن يستعجل أمراً فيلح فيه، أو يتطلع إلى وعد قد بانت علاماته، قال ابن اسحاق، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة في

---

(١) ذات فرغ: ذات سعة. والزبد هنا: رغوة الدم.
(٢) مجهزة: سريعة القتل. وتنفذ الأحشاء: تخترقها.
(٣) جدثي: قبري، والجدث والجدف القبر.

حجره فخرج بي في سفره ذلك - يريد غزوة مؤته - مرد في على حقيبة رحله[1] فوالله إني ليسير ليلة، إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:-

إذا أديتني وحملت رحلي
مسيرة أربع بعد الحساء[2]

فشأنك أنعم وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلي ورائي[3]

وجاء المسلمون وغادروني
بأرض الشام مشتهي الثواء[4]

وردك كل ذي نسب قريب
إلى الرحمن منقطع الاخاء

---

(١) حقيبة الرحل : مؤخرته.
(٢) الحساء: جمع حسيى وهو ماء يفور في الرمل حتى يجد صخرا، فإذا بحث عنه وجد، يريد مكانا فيه الحساء.
(٣) فشأنك أنعم: يريد أنه لايكلفها سفرا بعد ذلك، وإنما تنعم مطلقة لعزمه على الموت في سبيل الله لأنه لايريد أن يرجع، وفعل ارجع مجزوم على الدعاء: دعاء على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله.
(٤) الثواء: الإقامة في المكان، وفعله ثوى يثوي.

هنالك لا أبالي طلع بعل
ولا نخل أسافلها رواء[1]

فلما سمعتهن منه بكيت، قال: فخفقني بالدرة[2] وقال: ماعليك يالكع[3] أن - يرزقني الله شهادة، وترجع بين شعبتي[4] الرحل[5].

وعندما وصل إلى أرض المعركة والتقى الجمعان في قوتين متباينتين عدداً وعدة:-

قوة الإسلام: قليلة في عددها، وقدرها ابن اسحاق في سيرته بثلاثة آلاف مقاتل، لكنها قوية بإيمانها، متماسكة بعقيدتها الإسلامية مسترشدة بهدي ربها، طالبة إحدى الحسنيين إما الظفر بما يرضى الله ورسوله ويدْحر أعداء الإسلام، وإما الشهادة في سبيل الله والفوز بالجنة، وهذه بغية كل مجاهد في سبيل الله، خارج لإعلاء كلمة ألا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله.

---

(١) البعل: الذي يشرب بعروقه من الأرض، ورواء بكسر الهمزة صفة لنخل.
(٢) خفقني بالدرة: أي ضربني بالسوط أو العصا.
(٣) اللكع: اللئيم.
(٤) شعبتي الرحل: طرفاه المقدم والمؤخر من الرحل.
(٥) سيرة ابن هشام ٤: ١٨ - ١٩.

وتلك ايم الله القوة التي لا يقف، دونها قوة، والعزيمة التي يهابها الأعداء، وتثبت الوهن في نفوسهم عند التقاء الجمعين.

وقوة الروم كثيرة في عددها، فقد ذكر ابن اسحاق أن قائدهم هرقل، وأنه نزل البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم. فكان عدد جيوش المشركين مئتى ألف مقاتل يقابلهم ثلاثة آلاف من المسلمين، ولكنهم قلة في العقيدة والهدف، ضعاف في المرتكز والغاية، يقاتلون من أجل مطامع الدنيا أو يساقون كالأغنام بدون إرادة.

ولما رأى عبد الله بن رواحة ما بجيش المسلمين من التردد، أراد أن يقوى عزيمتهم ـ ويشجعهم في المضي لهدفهم الذي خرجوا من أجله فقال: ياقوم: والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس، وكان في مقدمتهم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه الذي اقتحم عن فرس له شقراء بعد

ماقتل زيد، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:ـ

ياحبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها[1]

فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، وتردد بعض التردد، فخاطب نفسه مشجعاً لها بالاستمرار في القتال بعد أن رأى حماوته، ورادعاً لها لئلا تتردد خوفا من الموت فتهلك، ذلك أنه يريد لها المضي قدما نحو الهدف الذي خرجت من أجله، ولأن الوقت قد حان لإبراز الجوهر، واستجلاء الحقيقة، ففي المعركة حامية الوطيس تتناثر الأشلاء، وعند مقارعة الأعداء تبرز البطولات، وفي ميدان القتال يتجلى الصدق، وتبرز الحمية، التي خرجت الجيوش من أجلها، وجيش الإسلام الذي تتوالى قيادته بين خيرة رجاله، حتى تصل القيادة إلى عبد الله بن رواحة، حميته من أول وهلة كانت لله، ومن أجل إعلاء كلمة الحق،

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ١٩ ـ ٢١.

وانتشار دائرة الإسلام، ـ ولإرهاب الروم الذين يحاولون إسكات صوت الحق، وكبح جماح اتساع الرقعة.

فقيض الله رجالاً ـ أمثال ابن رواحة ـ أرخصوا حياتهم، وبثوا الحماسة فيمن خلفهم من جنود، ومن يتتبع سيرتهم من رجال.

عبّر ابن رواحة عن تلك الروح القيادية والحمية لله ولدينه، بنموذج فريد ضربه لنفسه، وهمة عالية حققها بقدوته، وصراع نفسي أزاله بعمله، والقائد دائماً نموذج لجنوده ـ والناس يتأسون بمن يتشجع فيقول ويواصل فيعمل.

وليس أشد على النفس من قهرها على شيء فيه هلاكها، وقسرها على عمل تكرهه، لكن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه كغيره من المؤمنين الصادقين، يأخذون عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيطبقون. ويستمعون فيعون، وأصدق الأعمال ما كان عن علم ودراية، وفهم ووعي.

إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أخبر أصحابه: بأن الجنة حفت بالمكاره، وأن النار قد حفت بالشهوات.

فهل توجد مكاره أقسى من الموت، وهو الذي يعانيه المجاهد عبدالله وجهاً لوجه، بعد أن تساقط من القيادة الإسلامية أبرزها.

وهل توجد شهوات ألذ من الفرار أو التلكؤ في هذا الموقف العصيب.

إنه موقف عصيب حقاً يعصف بنفس عبد الله بن رواحة الذي صدق منذ البداية في إسلامه، وعاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرة الله.

وها هي القيادة تصل إليه بالتسلسل كما حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترتيبه الثالث.

لقد قرب الوصول إلى الهدف: نقطة القيادة التي تمثل حمل الراية، ليبث الحماسة في صف الجيش الإسلامي، فيزيدهم حماسة فوق حماستهم، ويرفع من معنوياتهم بقيادة جريئة لا تنقص عن القيادة السابقة، وكل أصحاب رسول الله خيار في خيار.

خيار في القيادة، وخيار في الرأي، وخيار في القدوة الحسنة، وخيار في الامتثال ـ والطاعة، وخيار في حسن

الاستجابة، ثم خيار في المدافعة عن الهدف الذي خرجوا من أجله، وهذه المدافعة ذات شقين:ـ

الشق الأول:

وهو الأشد والأنكى، وهو مدافعة النفس حتى لا تخور، ومغالبة الهوى ـ حتى لا يطغى، والاستيلاء على مشاعر النفس حتى لا تتحكم.

فالنفس إذا قويت أقدمت، وإذا طمعت في جزاء نشطت، وجميع المكاسب ترخص في مثل موقف عبد الله بن رواحة وأصحابه، إلا مكسب واحد وهو التطلع إلى ماعند الله من جزاء وثواب. والامتحان العسير الذي يمر بالإنسان هو مدافعة نوازع نفسه في مواقف ضيقة وحرجة.

ولكن الجوهر الأصيل بالعقيدة الإسلامية يجعل النفس الزكية تتغلب في هذا الصراع، وتتحكم على جميع المؤثرات..

وهذا ما ضرب به عبد الله بن رواحة النموذج الفريد في موقفه الحاسم، وصوره بأبيات شعرية صادقة، قالها تحت غبار المعركة وتجلجل بها صوته مختلطاً بصهيل الخيل، وقرع الجماجم.

الشق الثاني:

مدافعة العدو ورد أباطيله، وفي هذا تحريض للصف الإسلامي عموماً ومحاولة لإبراز عظمة الإسلام وعلوه، ودحر الأعداء والإنقاص من قدراتهم، بما نالوه على أيدي المسلمين في مواقف سابقة.

ولكل من الشقين دوره وتأثيره والقدرة على الإبداع فيه من الشاعر الذي يصور ذلك حساً، ويعبر عنه لفظاً، ففي الشق الأول تبرز مكانة عبد الله بن رواحة بصورة جلية، لأن قوله منبعث من أعماق نفسه الصادقة الصافية، وشعره معبر عن أحاسيسه المستنيرة بضوء الإسلام، والمتشبعة بمعاني وأفكار القرآن الكريم.

وفي الشق الثاني تتجلى براعة حسان بن ثابت رضى الله عنه، ولذا دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المزيد في القول، وحثه على مواصلة التقريع للقرشيين بصفة خاصة، وأعداء الإسلام بصفة عامة عندما قال له: أهجهم وجبريل معك، وفي قوله له: اهجهم كأنك تنضحهم بالنبل[1].

---

(١) انظر صحيح مسلم ٥ : ٢٥٣ وفي رواية: أجب عني، اللهم أيده بروح القدس، وانظر طبقات الشعراء ١ : ٢١٧.

ولكي يدفع عبد الله بن رواحة رضى الله عنه نفسه للإقدام ويكرهها على مافيه خيرها وسعادتها، فإنه أراد أن يجرها بالقوة، ولا أقوى عند المسلم من القسم فإن نزلت نفسه بالرفق واللين، وإلا فإنها نازلة لا محالة بالكراهية والتبكيت . .

ثم إنه أراد أن يقطع على نفسه خط الرجعة حتى لا تغالبه على البقاء، فبدأ يقرعها ويسائلها: لماذا تكرهين الجنة، التي خرجت من أجلها، وقد قرب موعد الوصول إليها، فهل تتراجعين بعد أن حان موعد جني الجهود؟، إن معنى ذلك الخسارة الأبدية.

خاطب عبد الله بن رواحة رضى الله عنه نفسه، في هذا الموقف العصيب، والخطاب عندما يكون علانية يتراجع المخاطب، دائمًا، لأن عبد الله في شعره هذا يهدف إلى إضعاف رغبة النفس بالتراجع، واشهاد بقية الحواس من جسمه لتتقدم وتتغلب على الشعور الباطني، والنداء الخفي . . وليكون فيمن حوله من جنود الصف الإسلامى قدوة في المغالبة، ومشجعاً في المواصلة، وهذا جزء من دور الشعر في الجهاد الذي يعتبر بمثابة الإمداد بالوقود، لإذكاء النار وزيادة اشتعالها.

فنار الحرب مشتعلة، ونار الحماسة العقائدية مرتفع سناها في الأفئدة، وحتى لا تخمد تلك الجذوة، أو تنطفىء تلك الشعلة، فإن شعر عبد الله الملتهب يمدها، وكلماته النارية تزيدها عندما مايقول:ـ

أقسمت يانفسي لتنزلنّه
لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة
مالي أراك تكرهين الجنة[1]

قد طال ما قد كنت مطمئنة
هل أَنت إلا نطفة في شنة[2]

والتأكيد مما يزيد الأمر تمكيناً، لذا نرى عبد الله بن رواحة قد أحس في نفسه تقدماً، وفي كابوس التثاقل

---

(١) أجلب الناس: صاحوا واجتمعوا، والرنة: صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء.

(٢) النطفة: الماء القليل الصافي. والشنه: القربة البالية. أي فيوشك هذا الماء القليل أن يراق أو أن تنخرق القربة البالية، وهذا كناية عن الضآلة وعدم الاهتمام، ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده.

انجلاء، وللتأكيدات التي رسخها في نفسه بأن تقدم وهي ثلاثة متتالية:

القسم واللام والتنوين في شطر البيت الأول ثم تثنية هذا مرتين في الشطر الثاني «العجز» والبلاغيون يقولون: إن زيادة التوكيد بتكرار أدواته دلالة على أهمية الأمر في نفس القائل.

وهذه الأبيات الثلاثة حافلة بمؤكدات كثيرة: القسم، واللام، والنون، وان، والاستفهام الانكاري، وقد.

مما يدل على عزم ثابت، ونية صادقة، في المضي قدماً نحو الشهادة، التي تراءت علامتها للعيان، وقرب موعدها.

لكن هذه السياط المسلّطة عليها من صاحبها، قد أدّبتها وهذبت من طباعها، فأسلمت القيادة، وأسلست في الاستجابة، فبدأ عبد الله يغير معها أسلوب المخاطبة، ويهون الأمر عليها بعد أن ـ رضخت للأمر. فقال:ـ

يانفس إلا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت

ومـا تمنيـت فقـد أعـطيـت
إن تفـعـلى فعلـهما هديـت[1]

بدأت هذه الأبيات في توطين النفس على المصير المحتوم، الذي قدره الله على كل كائن حي في هذه الدنيا، وهو الفناء ومصير نفس عبد الله لن يشذ عن ذلك، وعلى النفس أن تختار أيهما أكثر جزاء، وأقرب منزلة من عند الله.

إن حمام الموت بدأت علاماته تبرز ولسان ناره يشتعل، وحرارته تصطلي به النفوس في هذا الموقف الجاد.. فلا تتراجعي عنه، فإن لم يحصل القتل في هذا الموقف الأثير، فإن الموعد المحدد للفناء سيجيء بأبسط ما تتصورين، فاسعى إليه قبل أن يسعى إليك.

ذلك أن الأمنية العزيزة عليك يانفس قد أعطيتها.. ولك نموذج فريد في القدوة الصالحة، والعمل الحسن بصاحبين فاضلين، قد سلكا ذلك الدرب، وبلغا مرتبة عالية عند الله، هما زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، اللذين قتلا واحداً بعد الآخر، وهما يسعيان حثيثا للموت، ويتفانيان في الدفاع عن عقيدة الإسلام ويدافعان الروم بحماسة ـ وحيوية لا تعرف الكلل أو الملل.

(١) انظر صحيح مسلم ٤ : ٢١.

وإن أفضل طريق للهداية والرشد، وبلوغ الأمنية الصادقة، هو القدوة بمن ضرب النموذج في الإقدام، لما في هذا من تأثير عاجل وآجل على القوة الإسلامية المقاتلة.

وهذه لفته جيدة من عبد الله بن رواحة أن يحتقر نفسه بجانب عمل الآخرين، حتى يتأسى ويعمل ويغلب النفس ونوازعها.

ومن هنا فإن عبد الله قد أخذ القدوة من غيره، كما أصبح فيما بعد بإقدامه وشعره المؤثر والمهيج، قدوة تحتذى في المواقف المماثلة، قدوة في العمل، وتأسياً بالسيرة، وتمثلاً بشعره، من باب تحريك الحماسة. وشد العزائم.

كما نلمس من قادة هذه المعركة عدم مطالبتهم بالقيادة، ولكنهم عندما تولوها واحداً بعد الآخر أعانهم الله عليها.

ولذا سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الجيش بعد عودته بخطة جيدة رسمها خالد بن الوليد للإنسحاب: هؤلاء الكرار. أي أنهم سيكرون على الروم بعد أن يكثر عددهم وتنشط شوكتهم، ويقوى ساعدهم.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عادوا في

أُخر أيام أبي بكر، ثم في بداية خلافة عمر بن الخطاب، وطردوا الروم من أرض الشام إلى الأبد، حيث ودّعها آخر قائد منهم إثر انهزاماته المتكررة أمام جيوش الإسلام بكلام جاء فيه: سلام ياسوريا إلى الأبد، وداع لاعودة بعده. وحتى يفي عبد الله بن رواحة بقسمه، فقد نزل عن فرسه، ليقرب من الأرض، وليثقل نفسه بالبقاء على وجهها حتى لا تخف به فرسه عن ميدان المعمعة، نزل وكله حماسة وحمية، وشجاعة وعزيمة، ليشعر من خلفه في صفوف المسلمين بأنه لن يبرح أرض المعركة إلا بإحدى الحسنيين الفوز وطرد الأعداء وهزيمتهم، أو الموت، ولا خيار بعد ذلك.

فسارع ابن عم له إليه بلحم قليل فوق العظم لينهشه، ويسد به جوعه، في يوم مضن، كله طراد وجلاد، وناوله ذلك العرق من اللحم قائلا: أشدد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، يريد بذلك أن يمده بالقوة التي تعينه على أداء العمل، ومجالدة الأقران، فأخذه منه عبد الله فانتهش منه نهشة خفيفة، لا يمكن أن تسكت جوعاً، ولا تعين في قوة، لأن عبد الله في شغل شاغل، والنفس إذا تعلقت بشيء انشغلت به، وإذا انشغلت نسيت كل شيء في سبيل ذلك الشغل.

حتى الأكل الذي هو مصدر القوة وموئل الحيوية، تتجاهله النفس بما هي فيه من شغل شاغل، وتفكير قاهر، يسيطر على المشاعر، ويتحكم في الأحاسيس كلها، وأهمها القلب والمخ اللذين - بانشغالهما تنشل حركة الجسم كله.

وهل هناك شغل أكبر من المعركة القتالية، التي قد اشتد أوارها، وحمى وطيسها، وعبد الله فيها بمثابة ربان السفينة، والمحرك لمجرياتها، فلابد أن يرهف حسه، ويدقق إدراكه، وما هي إلا لمحة أصاخ السمع فيها، وقطعة اللحم تقترب من أسنانه إذ سمع جلبة وضوضاء، واحتكاكاً واضطراباً، فالناس قد حطم بعضهم بعضا، وتزاحموا فيما بينهم.. فقال لنفسه معاتباً وأنت في الدنيا؟؟.

ثم ألقى ذلك العرق جانباً فلم يكن لطعمه في حلقه أثر، ولم تكن أمعاؤه طامعة في الحصول عليه، فجميع حواسه مشدودة إلى الهدف الذي جاء من أجله.

لقد أفرغ يده من طعام الدنيا، وتناول عنه الموصل لطعام الآخرة، تناول سيفه الذي يقاتل به أعداء الإسلام، ويدافع به أعلاج الروم - وتقدم نحوهم في ثبات وصبر، وقوة وعزيمة، حتى قتل - رحمه الله وذلك في عام ٨هـ.

سقط ذلك الشجاع بلسانه، الجرىء بجنانه، المدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن حياض الإسلام بكل مايملك.

لقد سخر نفسه جندياً مخلصاً، منذ أن وقر الإسلام في قلبه، مخلصاً في القول، فلم يفحش فيه، أو يتجنى بالكذب والبهتان. صادقاً في العزيمة، ثابت القلب والجنان، لا يخاف أو يجبن، لا يتردد أو يحجم.

مات عبد الله بن رواحة شهيداً في سبيل الله، ومدافعاً عن دين الإسلام بكل مايملك، ولئن مات مع موته في وقعة مؤته دفاع البدن، وقوة الإقدام، فإن دفاع الحماسة والشعر والتوجيه وشد النفس للشهادة، لم يموتا، فكل مجاهد في سبيل الله عندما يريد أن يحمس نفسه في ساحة القتال، ويقويها على الصبر وتحمل الشدائد، فلابد أن يترنم بشعر عبد الله بن رواحة، ليزيده قوة وحيوية.

ولئن تركنا عبد الله في الدار الدنيا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأنه وصاحبيه قد رفعا في منازل عند الله، في جنات الخلد، وقد رآهم على أسرتهم... فأكرم بها من منزلة طالما تمناها عبد الله في شعره، وحقق الله له هذه الأمنية.

ولئن كان عبد الله بن رواحة بعد وفاته لم يخلف مالاً ولا ولدا، فإنه قد خلف من الشعر الجهادي ـ مع قلته ـ ما يخلد اسمه، ويبقى ذكراه إلى الأبد في نفوس المسلمين، ويشدهم إليه وإلى بطولته كلما جاءهم موقف شبيه بموقفه، وما أكثر تلك المواقف عند المسلمين، عندما يحرصون على الانطلاق للجهاد بدافع رباني وبحسب المصادر التشريعية في عقيدتهم الإسلامية، استجابة لأمر الله، واقتداء برسول الله في مسيرته لنشر دين الله.

خلّف رضى الله عنه شعراً قليل الأبيات لكنه كثير المعنى: في فكره الإسلامى، وعميق الدلالة: في منهجه التشجيعي، ووحيد الريادة: في الأسلوب الجهادي، جهاد النفس، وجهاد البدن، وجهاد اللسان.

إن شعر عبد الله بن رواحه رمز للإلتزام بمنهج الإسلام. ومحرك للجهاد في سبيل الله، ويعتبر بحق من أرباب المدارس في التوجيه والفكرة، وفي الحماسة والريادة وفي المنهجية وتغيير البنىٰ، ورسم القواعد.

فما أحوج المسلمين لرجال أمثال عبد الله بن رواحة، وفي كل عصر ومكان: صدقاً في القول، ورجاحة في

العقل، وشجاعة عند اللقاء، ودفاعاً عن العقيدة باللسان شعراً، وبالجنان إقداماً.

والناس تبع للقيادة في كل عصر ومكان، فلو تراخى عبدالله في موقفه لاهتز التماسك الإسلامى في جيشه، ولكنه أقدم فساروا، وتمالك نفسه فشدوا على عدوهم، وأرخص نفسه في سبيل الله، ففاز بدرجات عالية عند الله.

وأعمال هذا القائد وصاحبيه، لم تكن ذات أثر في نفوس المسلمين وحدهم، بل أرهبت الروم، وأخافت قادتهم، فاحتموا منهم، وأنذروا من خلفهم.

ولئن تباعد الزمن بين موت عبد الله بن رواحة، وذهابه إلى الدار الآخرة شهيداً مرضياً عند ربه، وذلك في رحلة طويلة بلغت أربعة عشر قرناً، فما تزيدنا تلك الأيام البعيدة في العمر الزمني إلاّ إلتقاء بأفكار أولئك الصفوة الأولى، نستمد ذلك من أشعارهم قولاً، وحياتهم عملاً، ومنهجهم في ذلك كتاب الله وسنة رسوله، تلك النماذج التي تؤصل التقربة من النفوس وتجدد اللقاء بالأفكار الإسلامية في كل كارثة تمر بالمسلمين (تأخذ ذلك من ابن رواحة كواحد من النماذج الكثيرة في تاريخ الإسلام، وجهاده الحافل، والذي

يجب أن تتعرف عليه النفوس، وتتعلق به الأفئدة، لأن هذا العمل رمز لقوة العقيدة والإصرار على العمل المتواصل، الذي لا يعرف الكلل أو الملل، ولا يتطرق إليه شيء من المثبطات، التي توهن العزم، أو تقضي على الحماسة.



مكانته الشعرية

يعتبر عبد الله بن رواحة شاعراً مخضرماً، قضى أكثر عمره في الجاهلية، ولذا فإن التحدث عن شعره يجب أن ينظر فيه خلال فترتي عمره الزمني :ـ

ـ حياته الجاهلية وما أنتج خلالها أو حكم به النقاد عليه، ولم يعرف مقدار هذه الفترة لعدم معرفتنا بشيء عن تاريخ ولادته، ولكن المؤكد أنها فترة زمنية طويلة تفتحت خلالها شاعريته.

ـ وحياة الإسلام: تلك الفترة القصيرة في عمر عبد الله، إذ لم يمكث على قيد الحياة ـ خلالها سوى عشر سنوات لم تكتمل، لكنها نسخت ما قبلها وغيرت نظرته لكل ما حوله.

أما شعره في الجاهلية:

فقد مر في سيرته تعداد للأيام التي صارت بين الأوس والخزرج واشتداد المعارك القتالية والكلامية بين الفئتين.

وإن كان ما وصل إلينا من شعر عبد الله بن رواحة في تلك المواقف قليل، وقليل جداً فما ذلك إلا لأن خلف ذلك أسباب مثل :ـ

١ ـ شعر عبد الله بن رواحة قد اختلط مع شعر غيره.

٢ـ الناس انشغلوا عن حفظ الشعر وتدوينه، بما هو أجدى لحياتهم: القرآن الكريم وتعلم أمور الدين، والسير في صفوف المدافعين والمقاتلين في سبيل الله.

٣ ـ عدم اهتمام عبد الله بالشعر في القول مجدداً واهمال السابق، فلا يذكيه بالمذاكرة ـ والتكرار.

٤ ـ النظرة العامة للشعر المنطلقة من قول الله تعالى: **(والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون)**[١]

وقول الله جلت قدرته:

(وما علمناه الشعر وما ينبغي له)[٢] في نفي الشعر عن الرسول أو أن يكون من رواده أو المتجهين إليه.

وحتى لا يأتي من يحكم على شعر عبد الله بن رواحة من النتف القليلة الموجودة له، والتي لا تزيد في مجموعها عن ربع قصيدة من مطولات شعراء الجاهلية.

---

(١) سورة الشعراء آيات ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) سورة يس آية ٦٩.

فإن لدينا قرائن أوردها ابن سلام في طبقات الشعراء تدل على مقدرة عبد الله بن رواحة في الشعر وعلو منزلته فيه.

وهى قرائن قوية تكفي لإثبات مكانة عبد الله بن رواحة، وأنه من فحول الشعراء، الذين صنفهم ابن سلام، وهو واحد من أوائل النقاد العرب، ويعتبر كتابه الطبقات مرجعاً مهمًا ومستنداً قوياً لدارسي الشعر ومنازلهم في الجودة.

١ - لقد قسم ابن سلام، الشعراء إلى طبقات [١٣٩ - ٢٣١هـ] فجعل شعراء الرسول الثلاثة :-

كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، من شعراء القرى العربية وهي خمس: المدينة، مكة، الطائف، اليمامة، البحرين.

وقد رأى بأن أشعرهن قرية المدينة، واعتبر شعراءها الفحول خمسة: ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس.

فمن الخزرج شعراء الرسول الثلاثة: كعب بن مالك من بني سلمة، وعبد الله بن رواحة من بلحارث، وحسان بن ثابت من بني النجار[1].

(١) انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢١٥.

وابن سلام في حكمه هذا كأنه جعل فحول الشعراء في الجاهلية طبقتين: شعراء المدر، وقسمهم إلى عشر طبقات، وشعراء الحضر وهم أصحاب القرى، وهؤلاء جعلهم خمس طبقات، بحسب مدنهم، وجعل الطبقة الأولى منهم: جودة في الشعر، وغزارة في الإنتاج مع إحكام في الصنعة، ودقة في الدلالة، أهل المدينة، الذين في مقدمتهم شعراء الرسول الثلاثة.

وشعراء المدن أو القرى - كما يسميهم ابن سلام أرق طباعاً وأسلس تعبيراً من شعراء المدن، لأن حياة المدن والسكنى بها أكسبتهم ليونة في الطباع، ورقة في الخلق والمخاطبة، لأن العوامل المحيطة، ذات تأثير في النفوس.

٢ - وفي حديثه عن عبد الله بن رواحة قال: إنه عظيم القدر في قومه، سيد في الجاهلية، ليس في طبقته التي ذكرنا أسود منه، شهد بدراً.

وكان في حروبهم في الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم، وكان في الإسلام عظيم القدر والمكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

---

(١) انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢٢٣.

فعظم القدر ينبىء عن مكانة وسيادة، ولذا اعتبره من سادتهم في الجاهلية، والعرب لا ـ تسود إلا من سمت به نفسه قدراً ومكانة، وحصافة رأي ووجاهة في العشيرة، ومن الأخـذ بأسباب السيادة عند الجاهلين: الشعر والشجاعة والكرم وسداد الرأي.

وهذه الخصال جميعها في عبد الله بن رواحة قد توفرت. . .

فلم يكن ابن سلام ليحكم على شاعريته، ويضعه في منزلة عالية من طبقات فحول شعراء العرب في الجاهلية، الا بقدرة جيدة، وانتاج كثير، وشعر مطبوع قوي.

وفي هذا دلالة على أن جهده الشعرى أغزر مما وصل إلينا، خاصة وأن الشعر هو صناعة العرب الأولى، وذوقهم المرهف. . واطلاق الحكم بالجودة يحتاج لمقاييس بعيدة الغور، عزيزة المنال، غزيرة في الإنتاج، لا تنطبق إلا على من طبّقت شهرته الآفاق، وتحدث ـ الركبان عنه ومحصته الألسن تذوقاً وقدحاً، وموازنة وترجيحاً، ثم بعد ذلك عرضه لكل ما لديه من إنتاج في سوق المنافسة والمزايدة، وفي أسواق العرب التي خلدت ذكرهم، ومحصت دقائق أعمالهم.

ولم يكن ابن سلام، وكتابه الذي يعتبر مقياسا للنقاد في الحكم، ليأتي بذكر عبد الله بن رواحة، الا لما له من سبق في الميدان الشعري، وعلو قدر عند أرباب هذه الصنعة.

وأما الشجاعة: فقد بان من المواقف التي حضرها في الإسلام، وآخرها غزوة مؤته التي قتل رضى الله عنه فيها، ما يبهر العقل، وتقف دونه قدرات الفرسان.

لقد كان عبد الله بن رواحة شجاعاً بكل ما تعطيه هذه الكلمة من معنى: شجاعاً بلسانه عندما سخره من أجل الدفاع عن الدعوة المحمدية، وشجاعاً بجنانه عندما نفث أشعاراً تحرض نفسه أولاً، ثم المؤمنين ثانياً، على مواصلة التقدم أمام الأعداء، والاستهانة بقوتهم، وارخاص الدم الذي صار يتلقاه من جروحه وهو يقاتل ليمسح به وجهه كل هذا كان هيناً على نفسه لأنه في سبيل الله.

والمواقف الجريئة التي ظهرت من عبد الله بن رواحة في الغزوات التي حضر، فيض من قوة النفس، واشتداد الشكيمة،وعبد الله عندما يكون مع الرسول في غزواته فإنه يقترب منه، ليجعل من نفسه درءً عنه، وليقدم نفسه فداءً له.

والكرم خلق جبلت عليه الأنصار عموماً، والعرب بصفة خاصة من سماتها البارزة التي أقرها الإسلام الكرم، والجود بالقليل في المواقف المدلهمة، وما الجود بالنفس في الحروب إلا ضرب من الكرم كما قال قائلهم: والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

أما عن سداد الرأي، فيكفيه موقفاً ما يتمتع به من مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يحله الرسول فيه من منزلة، ثم بما عهد به إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرص لثمار خيبر، حتى أن يهود رضيت بحكمه، وحسن تصرفه، وبعدالته التي استمدها من عدالة الإسلام ومصدري التشريع فيه: كتاب الله، والقدوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحكم ابن سلام عليه وعلى زميليه من شعراء المدن، يعطينا نظرة بأنه اعتبرهم من جذور شعراء الجاهلية، باعتبار تلك الفترة أنشط في الشعر وتتبع المؤثرات، وأن عصر الإسلام الأول امتداد لتلك الفترة، التي لم يبرز الشعر فيها، كمجال للحوار، وميدان للمنافسة.

وقد حرص الشعراء على تجاهل المؤثرات في الشعر أو

جذب أنفسهم نحـــوه، لأن مؤثـــراً جديداً قد تحكم في مشاعرهم، وعاملاً قوياً قد دخل في حياتهم.

وهذا ما دفع ببعض النقاد إلى القول: بأن شعر حسان في الإسلام قد ضعف.

وهو حكم في نظري لا يستند على حقائق نقدية تحليلية.

وهذا الرأي قد وافق هوى في نفوس المستشرقين الذين يحاولون الغمز واللمز للإسلام دائمًا، ليجعلوا من يتلقف رأيهم يقول بحكم قاس على الإسلام، ويهمهم أن يكون من أبنائه المنتمين إليه، ليكون أدعى للقبول: أو البلبلة: بأن الشعر في الإسلام ضعيف لأن الإسلام لا توجد فيه مقومات الإجادة والقوة، معللين بقول بعض النقاد القدامىٰ من العرب: بأن أعذب ـ الشعر أكذبه.

وإذا سرنا معهم في هذا الحكم الشاذ، فإننا نحكم على الشعر الإسلامى بمقاييس الجاهلية، ونطبق معاييرها على ألفاظه وأخيلته ومعانيه.

وهـذا غير صحيح، فالإسلام جاء بمقاييس ومفاهيم جديدة، تختلف عما عهده الجاهليون في أعرافهم.

فمثلما أن الإسلام غير الطباع، وهذب الأخلاق، ووجه النفوس لمعتقدات جديدة، متغايرة تماماً مع ما هو سائد في البيئة أو معهود في المجتمع.

فكذلك ما يتعلق بالشعر أيضاً يجب ألا يسود فيه إلا ما ترتضيه تعاليم هذا الدين، ولا يجب أن نخضع الحكم على الشعر الإسلامى من تلك الاعتبارات، التي تبدأ بالغزل الفاضح، والكذب السافر والمبالغة الممقوتة، وذكر الموبقات والفواحش والطعن في الأعراض، والتنقيص من مكانة الآخرين، واحتقار أفعالهم.

لأن النفس تتلذذ بما هو ممنوع، وتتوق إلى كل ما هو خارج عن المألوف والمثل يقول: «**كل ممنوع متبوع**».

منعت شيئا فأكثرت الولوع به
أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

وشبيه بهذه الظاهرة، ما نلمسه من نقاد هذا العصر، حول نظرتهم إلى المسرحية الإسلامية، والتمثيلية الإسلامية، والمسلسلات الإذاعية والمرئية ـ التلفزيونية ـ التي تهتم بالتراث الإسلامي.

فهم يقولون إنها غير ناجحة، بل يسرفون في الحكم إلى أنها لن تنجح ولن يكتب لها أن تزاحم غيرها.

وعندما تسألهم لماذا؟ يقولون: لأن العنصر النسائي غير متوفر، وكل عمل مهما كان إذا لم يكن به العنصر النسائي، فهو غير ناجح، وما نجاح الغرب في تلك الأعمال إلا لإجادتهم إدخال العنصر النسائي في مجهوداتهم الإعلامية.

حكم غريب، يجرون به المرأة قسراً، ويقحمونها إقحاماً في أدوار ليس لها فيها أي مدخل، لا لشيء إلا ليرضوا هذه النزعة، التي جاءت من أفكار غير ناضجة أو من دراسات موجهة.

وإذا كان الغرب يرى ذلك ضروريا، فله حكمه ذلك، لكن الذي يجب أن نطبقه في أي نقاش يراد منه المقارنة، هي تلك المقالة التي أطلقها أحد قادة الغرب في الحرب العالمية الشرق شرق، والغرب غرب ولن يلتقيا.

فالإسلام بمقاييسه النقدية، ومفاهيمه الأدبية، يجب أن يباين الغرب في كل شيء، والتقليد في الأدب والنقد بيننا وبينهم غير وارد، لأن الأدب ينطلق من معتقدات الأمة، ومقومات المجتمع، وهو العامل المنشط للآلام والآمال.

والمؤثرات في مجتمع إسلامي، غير المؤثرات في مجتمع غير إسلامي، وقيم المجتمع الإسلامي، غير القيم في أي مجتمع آخر حسب مقاييسهم.

ومن حكمنا على أشعار الإسلاميين، يجب أن نجعل مقاييس النقد التي تتلاءم معه هي الحكم السائد، لأن العرف المألوف عند النقاد، أن الأدب قد سبق النقد في العمر الزمني، فالأدب وجد أولاً، ثم تبعه الذوق والتفهم وانبثق عن حاسة الذوق، مقاييس النقد، وقواعده وأصوله.

وهذا ما يجب أن تنطلق منه مفاهيم أدباء الإسلام: سير وفق تعاليمه، وابتعاد عن كل مؤثر يخدش أمانته، أو يباعد عن منهج الإسلام وقيمه وما يدعو إليه.

وقد رسم شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم معالم ذلك الطريق، ووضعوا الصوى على الدرب ـ وسارت القافلة، ولكن الفترة الزمنية كانت قصيرة، حيث ضعفت النفوس عن المقاومة، وانشغلت الشخصيات القادرة بجوانب أخرى، فبرز في الساحة من إيمانه هش، وتأثره بروحٍ الإسلام قليل، فأعادوا للشعر في العصر الأموي كثيراً من

سمات الجاهلية، فكان هذا أول رجعة للماضي، بدأت بالشعر، وثنت بالعصبيه القبلية.

وعبد الله بن رواحة، مثلما كان شجاعاً في بدنه وإسلامه، فإنه كان شجاعاً في شعره، وفي منهجيته التي سلك، فلو قيض الله لعبد الله أن يعيش مدة أطول، وأن يصلنا من شعره مجموعة أكبر، لكان صاحب مدرسة، يدخلها ويتعلم فيها كل من لديه حماسة لقول الشعر، ومقدرة لخوض غمار القريض، بشخصية إسلامية مستقلة ونظرة عقائدية بعيدة النور.

ولعل عزوف عبد الله وغيره، ممن يقول الشعر أو يرويه عن تتبعه والاستمرار فيه قولاً وأداء مما أفسح الميدان لمن هم دونهم حماسة، وأقلهم إيماناً بالفكرة، ليصولوا ويجولوا، ويتقولوا على الآخرين بما هو حق أو غير حق.

ففي الوقت الذي نداقع عن تلك الأقوال التي ترمي شعراء الإسلام بالضعف الشعري، تعبيراً وخيالاً، وأسلوباً ومعاني، بأنه بمثابة مقاييس أثواب أعطيت لغير صاحبها، فإن الأمر يدعونا لتغيير ذلك الدفاع المنبعث من الحماسة والغيرة، إلى وضع معالم تحدد المعايير الجديدة، التي يجب

أن ينـطلق منهـا النقد الإسلامي، ومقاييس تحدد المفهوم العام في الجودة وحسن العطاء.

ـ فالشعر ينطلق من تمجيد المفاخر، والإسلام يقيد تلك المفاخر بما لا يتعدى نظرة الإسلام نحو القبيلة والأسرة، وأن عزة الإسلام والإعتداد به يجب أن يكون في المقدمة.

ـ والشعر يحب الغزل وفضح كل أمر مستتر، بينما الإسلام يصـون كرامة المرأة، ويحفظ عفتها وكبرياءها ويدافع عن كرامتها حتى لا تمتهن، وجمالها حتى لا يبتذل.

وشيء ستره الله، وأعطته سورة الأحزاب والتوبة صيانة قوية، لا يحسن بشـاعر أن يغير بلسانه تلك المقاييس أو يهتك تلك الستر.

وفي اعتراض الرسول صلى الله عليه وسلم على كعب بن زهـير (٠٠٠ ـ ٢٦) عندما بدأ ـ قصيدته بالتغزل بسعاد حتى عرف أنها زوجتـه ثم أذن له بالاستمرار، دليل على تقييد الإسلام هذا المجال بالعفة والصدق وصيانة عرض المرأة التي يجب أن تحفظ عن كل دنس، وعن عبث العابثين.

- والشعر الجاهلي يمجد الموبقات من خمر وفاحشة، وهتك للعرض، وابتذال في القول، فلا يجب أن تجعل تلك الأمور مقياساً للجرأة والقوة، لأن الإسلام حرّمها، وطلب من أتباعه مقتها، ومقت من يسير في ركابها، بل إقامة الحدود على فاعليها، ولذا فإن هذه الأمور مما يحسن اعتبارها نقطة ضعف في مقولة الشاعر، كجزء من المعايير التي يحكم بها على إنتاجه الشعري.

- والحماسة للفكرة، أو النعرة القبلية، وسّعها الإسلام وشملتها محبته، إلى الاهتمام بشئون المسلمين عموماً، والدفاع عن كرامتهم وسمعتهم «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم».

- وتصيد المثالب وتكبيرها والمبالغة في كل صغيرة، فقد جاء الإسلام ليحمي الأعراض، ويدافع عن كرامة النفوس، وغيرها مما يلمسه ويتمعن فيه من يستقرىء الأدب الإسلامي وشموليته وأغراضه التي طرق، في حدود ما ترضى عنه قيمه ومثالياته.

إن الأمر يدعو نقاد العرب إلى رسم منهج جديد، وشخصية مستقلة، بدراسة تراثهم، والمحافظة على

عقيدتهم، والبحث عن نظرية نقـدية نابعـة من صميم الأدب الإسلامى فكراً ومنهجاً وهدفاً وغاية.

وما على نقاد المسلمين إلا اضفاء القالب الإسلامي على الدراسة، لتبرز الشخصية المتميزة، وتكون ذات اهتمام في ابتكارها واستقلالها. ونزعتها العقدية.

فالنقـاد المـدركـون من أصحـاب النـزعات المستقلة، والشخصية المعتدة الواثقة، هم الذين يحملون راية القيادة، ويتصدون لحمل مشعل الريادة، دفاعاً عن أمتهم وتمكيناً لتراثهم وجذورهم.

ومن نماذج الغرب يجب أن نقتبس المنهج فقد رفع نقاد الغـرب ـ وخـاصـة الفـرنسيين منهم ـ الشـاعر بلزاك في الكوميديا الإنسانية إلى القمة فكراً وأداء، بحيث اعتبروه رائد مدرسة في الخيال والعواطف.

ومثل هذا عملوه للشاعر الإيطالي في الكوميديا الإلهية دانتي..

رغم أن لهذين الشـاعـرين في عطائهما آراء فلسفية وشطحات عقائدية، وتجاوزات عما هو مألوف. في الوقت

الـذي أوصلوهما إلى قمة الأدب والابتكار، لا لشيء إلا لأنهما دخلا منهجاً جديداً.

وغـاب عن أذهـان أولئك: أن صاحب السبق ورائد الإبتكار هو صاحب الفضل، والمستحق لكل ما انهال من ثناء وهو الشاعر العربي: أبو العلاء المعري، في رسالة الغفران.

ذلـك الشـاعـر الفيلسـوف الذي نتحسـس في رسالة الغفـران بعض النبضـات العقـائـدية، ونشم من جنبات أحـداثهـا الثقـافـة الإسلامية مع وجود بعض الشطحات الفكرية لديه، والتي جاءته من الفلسفة الوافدة والثقافات الدخيله.

وهـو وإن خالف فيهـا منهجاً معيناً، فقد أضاء المعالم للارتبـاط بالشعـور الإسـلامي، ولكـل شاعر تأثيره بقدر خلفيته وعلمه، وكل يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام مالك.

ثم إذا عدنا إلى الأصالة النفسية في النقد، ونبذ التبعية، فإن فى هذا دعوة للإرتباط بالتراث الإسلامي فكراً ومنهجاً، لتتكـون القاعدة، ولتتشجع النفوس، وهذا بمثابة تعليم

الجندي الرماية وفنونها، والتدرب على أنواع السلاح، قبل خوض المعركة، ومثل هذا ضرورة تمكين الغواصين من السباحة وفنونها، ومصارعة البحر وأمواجه، قبل أن نسلمهم لأمواجه وحيتانه، ولدينا قاعدة أمكن ونموذج أشمل.

فمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عندما جاء بالرسالة السماوية مكث في أهل مكة ثلاثة عشر عاماً، وهو يرسخ فيهم التوحيد ويعلمهم الارتباط بالخالق، ويدعوهم إلى كلمة التوحيد ـ لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله ـ ليتشبعوا بها ولتتمكن من نفوسهم لكي تكون لهم درعاً واقيا، وحصناً أميناً من الخلل والزلل.

وبعد الهجرة للمدينة، وتمسك المسلمين بهذه الكلمة انطلقت شعائر الإسلام تترى، ومنها الجهاد الذي هو شخصية المسلمين القوية.

ودعوتنا الآن إلى ضرورة تبني الخروج بالشعر الإسلامي عملًا، وطريقة بحث، إلى عالم الأصالة في المنهج، والاستقلالية في الفكر، والتقويم في النقد، فمن ذلك المنطلق، يدخل إعادة ما اقتبسه الغرب أو الشرق ـ إذا

أحسنا الظن بنواياهم، ولم نتهمهم بالسطو على تراث أمتنا، والاستئثار بمجهود أسلافنا ـ إلى نصابه، وأهله.

ولا نقول هذا مجازفة فإن الكثير قد نسبوه لأنفسهم في شتى المعـارف، وفي موضوعنا هذا نأخذ نظرية الشاعر: النّفرى، وهو من رواد الأدب في العصر العباسي، وتوفى عام ٣٥٤هـ، وقد طبع ديوان شعره محققاً، وهذا الشاعر له نظرية تقول: كلما زاد عمق ـ الإنسان من التجربة، كلما زادت رؤيته الكلية للكون اتساعاً.

هذه الكلمات الفلسفية القليلة، ذات مدلول غفل عنه أبنـاء جلدتـه، وقـد أخـذه الغربيون، ونسبوه لأنفسهم، وانبثق عن ذلك مدرسة جديدة في النظرة الشمولية والفكرية.

هذه نظرة عامـة جرنـا إليها الحديث عن الكلمة التي أطلقهـا المستشرقـون على شعر حسان بن ثابت (٠٠٠ ـ ٥٤هـ) بأنه ضعف في الإسلام، كنا نتمنى التوسع فيها وتفنيد آراء مرجليوث، وغوستاف لوبون، وغيرهما ممن حاول الدس في أدبنا العربي، وقد تقبل كلامهم مجموعة من رواد النهضة العربية في العالم العربى في العصر الحديث، وتبنى بعض تلك الآراء فنسبها لنفسه، ودافع عنها.

أما شعره في الإسلام:

فهي وإن كانت فترة زمنية قصيرة، كما أسلفنا من قبل، إلا أن ـ شاعرنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قد رسم لنفسه فيها منهجاً جديداً، واختط درباً استقاه من منهج الإسلام في التوجيه والدعوة.

لقد نبذ في شعره أغراض الجاهلية من غزل وفخر، وهجاء وتبذل وكذب ومبالغة. . . وقصّر في العطاء الشعري، بحيث أصبح نفسه لا يتجاوز المقطعات.

ولكنه أجاد في جوانب أخرى جدت في الشعر مع النزعة الإسلامية، والارتباط الوجداني بعقيدة الإسلام، والسير وفق مقتضيات الأوامر الجديدة، التي تتنزل بها آيات من الذكر الحكيم، أو توجيهات من الرسول الكريم.

ومن هنا فإن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ـ كنموذج لشعراء الإسلام الذين ارتبطوا به عقيدةونهجا،وأخذوه سيرة وعملاً ـ دب الخوف في نفسه، وتوجس أهمية العواقب، من الانزلاق في متطلبات الشعر المطلقة.

ذلك أن الإسلام قيد النفس البشرية فيما تأخذ وتدع، ورسم حدوداً، ووضع معالم للطريق الذي يجب أن يسلكه

الشخص، لا في الشعر وحده ولكن في كل قول أو عمل، تنجذب إليهما نفس المرء أياً كان وعلى أي وضع حلّ، في مثل:ـ

ـ قول الله تعالى: **(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)** (سورة ق: آية ١٨).

ـ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: لمعاذ بن جبل عندما أوصاه: «كف عليك هذا وأشار إلى لسانه، فقال: يارسول الله: أنحن مؤاخذون بما نقول؟. قال صلى الله عليه وسلم: ثكلتك أمك يامعاذ، هل يكب الناس في النار على وجوههم، وفي رواية على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم».

هذه النصوص، وغيرها لا بد أن يكون لها أثر عند الشعراء بصفة عامة:ـ

ـ فمنهم من هجر الشعر.
ـ ومنهم من قلل منه.
ـ ومنهم من بدأ يحاسب نفسه فيما يقول.
ـ بل بلغ الأمر ببعض الناس إلى الإقلال من الكلام عموماً، وقد سمعنا عن المرأة المتكلمة بالقرآن كنموذج لهجران الكلام فضلاً عن الشعر.

وفي مرورنا بشعر عبد الله بن رواحة في الإسلام، ستتضح المنزلة التي اختار لنفسه ليتبوأها بشعره، والمكانة التي احتلها فيه، كواحد من الشعراء الممتازين بنزعتهم وقوة إرادتهم، فهو بذلك يجتاز امتحاناً صعباً، ويتخطى عقبات شائكة لا يصمد لها إلا من لديه ملكة قوية وقدرة شاعرية، وموهبة تملك عليه أحاسيسه ومشاعره، فلا يسير مع نوازع النفس، ولا تتغلب عليه الأهواء ولا تؤثر فيه رغبات الناس ونظرتهم، ولا يميل إلى اتجاهات المجتمع ومستحسن القول فيه.

ذلك أن الشعر في الجاهلية تحكمه العواطف والرغبات أما الآن فالقول عموماً بما فيه الشعر يحكمه ضابط، ويتحكم فيه مصدر تشريعى سماوي لا مجال للنقاش في كل أمر يدعو إليه أو عمل يحبب فيه.

ومن هنا كان الصحابة رضوان الله عليهم، يتوجسون كل أمر، ويخافون من كل تصرف مخافة أن ينزل من الوحي ما يؤنبهم ومن الأوامر السماوية ما يخطىء تصرفاتهم.

والمبدأ العام من النصوص القرآنية، أن نظرة الإسلام إلى الشعر غير مستحسنة، ومن هنا كان الصحابة رضوان الله عليهم، أجمعين، يستوضحون من الرسول صلى الله

عليه وسلم عن كل أمر كانوا يعملونه في الجاهلية، بما في ذلك الشعر، عن الرأي فيه استحساناً أو استهجاناً، ليعملوا أو يجتنبوا.

وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه من الشعراء الذين تمهلوا قليلاً بعد الهجرة في قول الشعر، مع أن لديه فيه مقدرة فائقة، ومنبعاً لا ينضب، حتى يرى استجلاء الأمر فيه، ويعرف ماذا يجب أن يأخذ منه وماذا يترك.

يتضح مثل هذا في المواقف التالية:ـ

١ ـ بعد أن استقر المصطفى في دار الهجرة، واستوطن المدينة التي أصبحت قاعدة إسلامية، تشرئب إليها أعناق المسلمين المستضعفين، وتتجه إليها أنظارهم، شعر مشركوا مكة بأن أذاهم اليدوي، وكلامهم الشفوي، لن يجديا فتيلاً في التأثير في محمد وأصحابه.

ولذا بدأوا حملة إعلامية جديدة وحرباً كلامية مكثفة فتناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وأصحابه بقاذع القول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة رد عني[1].

(١) انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢١٧ وأسد الغابة ٣ : ٢٢٥ مع اختلاف في الرواية.

فلو لم يكن ذا قدم عالية في الشعر، ومقدرة في سبك العبارات، لما طلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرد عنه، وخصه بالذكر أولاً وقبل صاحبيه.

لكن الرسول يوجهه عندما ذهب في أولهم والقديم، إلى أن منطق الشعر الصادق، والقول الرصين فيه، يجب أن يكون في ذكر معايب من يناوشك القول، لا في تعداد مثالب القدامى ممن فارقوا الدنيا بما لهم وما عليهم، لأن من مبادىء الإسلام العامة **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** (سورة الأنعام: آية ١٦٤) وفي خمسة مواضع في القرآن).

وهذا درس جديد يستفيده عبد الله في مجال التوجيه للغرض الذي قصد، والميدان الذي يتوجس الخيفة من سلوكه، بعد التحول الجديد في حياته، باعتناقه دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه، لينقذ الناس من الضلالة ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويباعد بينهم وبين معتقداتهم السابقة.

ثم درس آخر يرويه محمد بن سلام **(١٣٩ - ٢٣١هـ)** في طبقاته قال: روى عمر بن أبي زائدة قال: سمعت مدرك بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط يقول: قال عبد الله

ابن رواحة مررت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فأضبّ القوم[1]: ياعبد الله بن رواحة ياعبد الله بن رواحة !!.. فعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاني فانطلقت إليهم مسرعاً، فسلمت فقال: ههنا فجلست بين يديه فقال: كأنه يتعجب من شعري: كيف تقول الشعر إذا قلته؟؟. قلت أنظر في ذلك، ثم أقول قال: فعليك بالمشركين: قال: فلم أكن أعددت شيئا، فأنشدته لما قلت:ـ

فخبروني أثمان العباء متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

قال: فكأني عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة إذْ جعلت قومه أثمان العباء، فقلت:ـ

نجالد الناس عن عُرْض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور[2]

---

(١) أضب القوم: صاحوا وجلبوا وتكلموا كلاماً متتابعاً.

(٢) نجالد نضارب وقدجلد بالسيف أي ضارب به.
عن عرض: يقال خرجوا يضربون الناس عن عرض: أي عن شق وناحية لايبالون من ضربوا.

وقـد علمـتـم بأنـا ليس غالـبـنـا
حي من الـنـاس إن عزو وإن كثـروا

ياهـاشـم الخـير إن الله فضـلكـم
على الـبريـة فضـلا مالـه غير[1]

إني تفـرسـت فيـك الخـير أعـرفـه
فراسـة خالـفـتهـم في الـذي نظروا

ولـو سألـت أو استـنصرت بعـضهـم
في جل أمـرك ما آووا ومـا نصروا[2]

فثـبـت الله ما آتـاك من حسـن
تثبيـت موسى، ونصراً كالـذي نصروا

فأقبل عليّ بوجهه مبتسمًا، ثم قال: وإياك فثبت الله[3]

فعبد الله وهو الرجل الذكي، أدرك من قسمات وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم الرضا، عند ذكره

(١) الغير والتغيير والتغير: وهو اسم بمنزلة عنب وليس له مفرد.
(٢) بعضهم يريد بني عمرو بن مخزوم ومن هجا من قريش.
(٣) انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

لقريش بأنهم أثمان العباء، كناية عن الخسة وتشبيهها لهم بمن يباع بثمن بخس، وهذا فيه ما فيه من حط لقدرهم، وإنزال من مكانتهم بين القبائل، وهذا الوصف لا ينطبق على قريش الذين اعتبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار العرب، عندما ذكر عليه الصلاة والسلام عن نفسه، بأنه خيار من خيار.

لم يؤنبه الرسول، أو يلفت نظره، لأنه حر والحر تكفيه الإشارة، وقسمات الوجه تعبر عن مكنون ـ النفس والصحابة ومنهم عبد الله بن رواحة ينظرون في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند كل أمر ليعرفوا تأثيره لديه، ورد الفعل في نفسه.

وهكذا الدروس المحمدية كلها أدب ووقار.

وتلاميذ هذه المدرسة يطبقون ويمتثلون.

وبذكاء وسرعة خاطر، يغير عبد الله سياق كلامه، والهدف في القول، إلى ما يتوقى فيه الرضا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيد القدح في قريش إلى مديح لبني هاشم، الذي منهم رسول الله، ومن الإنقاص من قدر الجماعة إلى الأفراد، مع التعرض للعموميات، التي أبرز

الإسلام سماتها، بصدق النبوة، ونصر الله لمن سار على الطريق، الذي ارتضاه الله لخير أمة أخرجت للناس ـ وأن الخسارة لمن حاد عن هذا الطريق بالعناد والمكابرة، ستحل به.

من هذه اللفتات النبوية الكريمة استمد عبد الله بن رواحة التوجيه إلى الطريق الأمثل، الذي يجب أن يسلكه الشعر الإسلامي، والإطار الذي يحسن أن يبرز فيه:ـ

صدق في التعبير، وسلامة في المقصد، وعدم الفحش في ذكر المثالب، أو النيل من الأعراض، واعتدال في القول، لأن من كان على الشرك سيهديه الله، أو أبناءه إلى الإسلام، فيزول العائق والباعث للرد، فلا تبقى تلك المثالب معه، أو عالقة بأبنائه من بعده.

وهذه دروس عميقة، بعيدة الغور، أدركها الرسول الكريم لبعد نظره، وخفيت على الشعراء لقصر نظرهم ويصدق على الشعراء عندما تتحرك نفسياتهم بالرد القول: بأنه لا يتعدى في نظره موطىء قدميه.

من هذا الموقف ندرك أيضا أن الشعر عند عبد الله بن رواحة: ملكة قوية، وكفاءة نادرة وموهبة فياضة المعين.

فهو يختلج في صدره، ويتزاحم في حنجرته، ثم يخرجه على لسانه قولاً منمقاً ومرتباً، سلس العبارة صادق القول جيد التأثير.

فهو لا يتكلفه، ولا يتحمل المشاق من أجله كما يعمل بعض الشعراء من أجل غرض معين، ولا يرهقه الإنتقال من غرض لآخر، فهو هنا يتحرك بسلاسة، من مقارعة للقرشيين بسهولة ورفق، إلى مديح للهاشميين، لا يتنافى مع نظرة الإسلام نحوهم، ولا يمجد به خصالهم الكفرية، ثم ينتقل إلى مديح للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تبيّن نظرة الأنصار، التي تخالف نظرة القرشيين، ثم في بيت رابع على التوالي يقرّع القرشيين في سؤال تقريري موجه للرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم لن ينصروا أو يأووا في أكثر الأمور. ؟.

وهذا مع سلاسته ولينه وقصر عباراته، صعب الأثر على أسماع القرشيين الذين لم ينصروا ـ واحداً منهم، يعلمون أمانته وصدقه، بل أخرجوه عنادا ومكابرة.

وخليق بهذا القول أن يحوز رضا الرسول، لأنه حكاية عن واقع صادق وتعبير عن حوادث غير مفتعلة.

وجدير بنا في هذا الموقف بأن نقول: بأن أعذب الشعر أصدقها،وأحلاه أقربه من الواقع.

٢ ـ ملكة الذوق الشعري: والإحساس الوجداني عند عبدالله بن رواحة جيدة، ولا نعزو تركه لأغراض شعره التي تناولها من قبل أو صارت سائدة عند الشعراء في الجاهلية: مثل الفخر والهجاء وتعديد المثالب، والنسيب، والمديح المبالغ فيه، إلا ضرباً من الذوق،ـ الذي يتلاءم مع البيئة، واستجابة لداعي الخير، الذي جاء به الإسلام.

فالذوق كما يقال عنه: كائن حي ينمو ويتطور، ويتبدل بالمؤثرات حوله.

والدين الإسلامي رفع ذوق عبد الله بن رواحة من :ـ

ـ الفخر بالأمجاد والاعتزاز بالقبيلة، إلى الاعتراف بنعمة الله الذي هداه للإسلام، وأزال عنه ظلمات الجهل، وغشاوة الكفر يتجلى مثل ذلك في الأبيات التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتجز ببعضها، وهو ينقل التراب مع أصحابه في حفر الخندق حول المدينة. وهي من شعر بن رواحة، وقد تمثل بهذا أيضاً عامر بن الأكوع رضى الله عنه وهو يحدو في غزوة خيبر:ـ

يارب لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصباح عولوا علينا

وإن أرادوا فتنة أبينا [1]

وقد جاء بها ابن سعد في طبقاته: بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن رواحة: أنزل فحرك بنا الركاب قال: يارسول الله إني تركت قولي ذلك.. قال له عمر اسمع وأطع.. قال فنزل وهو يقول.. ثم ذكر الأبيات، وزاد فيها غيره: وإن أرادوا فتنة أبينا [2].

- التعرض للمثالب الشخصية، والمناقب الذاتية، لما فيها من جرح للشعور، واذكاء للعداوات، إلى العموميات التى تناقض الإسلام، وتبين سبب الشقاوة الدنيوية بمعاداة الرسالة المحمدية وحامل لوائها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

(١) البداية والنهاية ٤ : ٩٦ وورد في صحيح مسلم ١٢ : ١٧٢ النهاية لسلمة بن الأكوع. أما في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ فقد نسبت لعامر بن الأكوع عم سلمة.

(٢) انظر الطبقات ٣ : ٥٢٧.

فالموقف الذي انتهجه عبد الله بن رواحة ورفاقه في سبيل الدفاع عن الدعوة، هو الدفاع برقة في غير ضعف مع الاعتداد بعزة الإسلام، والافتخار بانتصاراته وظهوره على المشركين.

وفي هذا الموقف فإن عبد الله لا يتأثر من أجل نفسه أو قبيلته كما هي حمية شعراء الجاهلية، وإنما يهتم بالرسالة السماوية كلها، ويؤرقه ما يقوله شعراء قريش من تعريض بالنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به، أو بأصحابه وذوي قرباه، وذلك في مثل قوله في الرد على أبي سفيان بن الحارث، ويتوعد قريشا التي أساءت إلى زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث بقيت في مكة فترة من الزمن مع زوجها، الذي لم يفارق دين قومه بعد، مع إسلامها فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة مع رجل من الأنصار ليأتيا بها وذلك بعد موقعة بدر.

وقد نسب ابن هشام هذه القصيدة لأبي خيثمة[1] وعندي أنها لابن رواحة التي تتلاءم في سبكها وأسلوبها من منهجه وأحاسيسه، فهو رقيق المأخذ، لين الجانب ولا يعيّر ـ الكفار الا باستمرارهم في الكفر، ويقرب من أذهانهم النار والعذاب، وهذه سمة تبرز في شعر عبد الله بن رواحة.

(١) انظر السيرة ١: ٦٤٢ ـ ٦٥٤.

أما أبو خيثمة، فقد رأيت بعضاً من شعره، وهو يختلف عن القالب الذي يصوغ ابن رواحة شعره فيه، كما يختلف أسلوبه وطريقته عن أسلوب وطريقة أبي خيثمة، مما جعلني أميل إلى أن هذه القصيدة ليست لأبي خيثمة وهي :ـ

أتاني الذي لا يقدر الناس قدره
لزينب فيهم من عقوق ومأثم

واخراجها لم يخز فيها محمد
على مأقط وبيننا عطر منشم[1]

وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم
ومن حربنا في رغم أنف ومندم

قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه
بذي حلق جلد الصلاصل محكم[2]

---

(١) المأقط: معترك الحرب. وعطر منشم كناية عن شدة الحرب وهو مثل وأصله فيما زعموا أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب، فيشترى منها للموتى حتى تشاء موابها لذلك.
وقيل عنها قصص أخرى كما ذكر الميداني في الأمثال، وفي حاشية السيرة.

(٢) بذي حلق: يعني المغل. والصلاصل جمع صلصلة وهي صوت الحديد.

فأقسمت لا تنفك منا كتائب

سراة خميس في لهام مسوم[1]

نزوع قريش الكفر حتى نعلها

بخاطمة فوق الأنوف بميسم[2]

ننزلهم أكناف نجد ونخلة

وإن يتهموا بالخيل والرجل نتهم[3]

يد الدهر[4] حتى لا يعوج سربنا[5]

ونلحقهم آثار عاد وجرهم

ويندم قوم لم يطيعوا محمدا

على أمرهم وأيّ حين تندّم

---

(١) الكتائب: العساكر والسراة: السادة والخميس: الجيش. واللهام: الكثير. والمسوم: المعلّم من السمة وهي العلامة.

(٢) نزوع قريش: الكفر. نسوقهم كما تساق الإبل وفي بقية النسخ «نروع».

(٣) الأكناف: النواحي. ونخلة موضع قريب من مكة، وأتهم: إذا أتى تهامة وهي ما انخفضت من الأرض.

(٤) يد الدهر: أى أبد الدهر .

(٥) السرب بالكسر وبالفتح الذى يرعى.

فأبــلغ أبــا سفــيــان إمــا لقــيــتــه
لئــن أنــت لم تخلص سجــودا وتــســلم

فأبشر بخــزي في الحــيــاة معــجــل
وسربــال قار خالــدا في جهــنــم[1] [2]

- وعبد الله بن رواحة إن فخر هنا أو توعد، فإنما يفخر بحق، ويتـوعد بصدق، يتجنب في ذلك المبالغة الممقوته والكذب والفحش في القول أو بعث المستور من العيوب.

وهذا نموذج لرصانة الإسلام وعلو قدره، الذي وسم شعر عبد الله بن رواحة، وهذب طباعه. سلوكاً ومنهجاً، بميسم واضح المعالم، بين التأثير، وهذّبه عن قول الفحش أو المغالاة لأنه من مدرسة القرآن.

- الابتعاد عن الغزل، ومجانبة التلذذ بذكر المرأة في الشعر بالتعلق بها ذكراً وتشوقاً، إن صدقا وإن كذبا، والاستعاضة عن ذلـك بنوع آخر يرتبط فيه الشاعر المسلم بلذة ثانية وطعم خاص، هو تذكر الآخرة، والتشوق إلى لقاء الله، والظفر بالشهادة التي تحله المنازل العالية، في جنات الفردوس.

---

(١) القار : الزفت
(٢) ــ السيرة لابن هشام ١ : ٦٤٢ - ٦٥٤ .

فعبد الله بن رواحة في هذا ينظر من زاوية تختلف عن نظرات الشعراء ومفاهيمهم، ذلك أن الإسلام غير نظرته العامة للحياة، وأعطاها مقاييس ذات اعتبارات، في تفهم الحياة الدنيا، وإدراك للغرض الأساسي من وجود الإنسان، ودوره العملي نحو دين الإسلام، دفاعاً عن كيانه، وتفنيداً لآراء أعدائه، وتطلعاً لجزاء أخروى استبان أمامه بما عرفه من الحق، ووقر في نفسه من نتيجة حتمية، لما تدل عليه مصادر التشريع التي يستقى منها المعرفة، ويستلهم العلم والتثقيف.

يبين مثل هذا عندما خاطب نفسه في حوار معها ليقودها إلى الإقدام نحو الموت في سبيل الله، فهو الطريق الموصل إلى الجنة التي تاقت إليها نفسه في قوله:ـ

أقسمت يانفس لتنزلنّه
لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة
مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنه [1]

(١) السيرة لابن هشام ١ : ٣٧٩.

ثم في مثل قوله يخاطب ناقته أثناء مسيره في تلك المعركة التي قتل فيها رضى الله عنه:

إذا أديتني وحملت رحلي
مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك أنعم وخلاك ذم
ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وجاء المسلمون وغادروني
بأرض الشام مشتهي الثواء

وردك كل ذي نسب قريب
إلى الرحمٰن منقطع الإخاء

هنالك لا أبالي طلع بعل
ولا نخل أسافلها رواء [1]

ولئن كان شعر الغزل وذكر النساء في الشعر، يبعث في نفس الشاعر الجاهلي الراحة ـ والطمأنينة، فلا يكاد يفارق لسان الشاعر في أي قصيدة يقولها فإن حماسة عبد الله بن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٣٧٢ ـ ٣٧٩ وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣ : ١٠٧ ـ ١١٠.

رواحة، وشعوره الذي يبعث في نفسه الشجاعة، ويلهب العواطف، هو تذكره الآخرة، والتحبيب إلى نفسه بتلقف الموت، وانتظار الجزاء الذي أعده الله لمن مات في سبيله مجاهداً وصابراً، وذلك لما عرف من منزلة عالية للشهداء، فهو متأثر بالقرآن ومتتبع لأوامر الرسول... ثم مع هذا وذاك، منفذ بجهد عملي: قولاً بالشعر وعملاً بالبدن، لما يوصّل إلى تلك المنازل التي جاء ذكرها عن الله وعن رسوله، فهي إذاً حقيقة ثابتة لا مراء فيها ولا جدل.

ومن شعر عبد الله بن رواحة هذا تتحرك المشاعر الصادقة وتنبعث العاطفة الإسلامية المتأججة، فهو يثير روح الاعتزاز بالإيمان بالله، في مواقف عديدة وخاصة في مواقف القتال حين تحتاج ـ النفوس إلى من يثبتها، والدماء إلى من يرخصها، وهذا من مجاهدة النفس.

ومن هنا نلمس في أناشيد عبد الله بن رواحة، تأثيراً عميقا، في نفس المؤمن بربه، والصادق في عقيدته، حيث يحمل روحه على كفه مستبشراً مقبلا غير مدبر، ليضرب بذلك النموذج في القول والعمل.

فتأثير شعر عبد الله بن رواحة، منهج جديد لم يتطرق إليه الشعر العربي من قبل، لأن لهذه الحماسة غاية نبيلة،

ولذلك التشجيع هدف أسمىٰ مما علق بأذهان الشعراء من قبل.

ويصح اعتبار منهجه هذا مدرسة جديدة في الشعر: أسلوباً وفكرة، أغراضاً ومقاصد.

فهو وأضرابه من شعراء الإسلام الأوائل يسخِّرون الملكة الشعرية، المتأججة في صدورهم، إلى أغراض مفيدة ونافعة، دفاعاً بصدق، وتوجيهاً وإرشاداً بحماسة وحيوية.

- والرجز عند كثير من الشعراء له أهداف وأغراض، وغايات ومقاصد: -

تحدىٰ به الإبل، ويقطع به السُّرى، وتشجع به النفوس، ويزيل السأم والملل، هذا في مظهره العام.

ولكن أغراضه هي أغراض الشعر السائدة في بيئتهم وأغلب ما يطرقون فيه الغزل والهجاء والحماسة أما عبد الله ابن رواحة فقد أكثر من الرجز، ولكنه قد جعله يسير في غرض واحد هو الغرض الإسلامي الذي يجعل المسلم يعتز بدينه، وينطلق من تعليمات ذلك الدين، وما يدعو إليه، وربطه بالعامل المهم وهو الجهاد بأنواعه، وحسب المفهوم

العام في الإسلام، جهاد النفس، وجهاد أعداء الدين، وجهاد الشيطان، وجهاد أعوان الشيطان من الجن والإنس.

وأراجيزه وإن كانت متقطعة من بيت أو بيتين، فإنه لم يقلها رغبة في الشعر، أو حباً في هذا النوع من الأهازيج، بل لتقرير شيء حاصل، والتحبيب في عمل يؤدىٰ، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسنها ويتمثل بها، فقد ذكر الدكتور مصطفى هدارة أن البخاري رحمه الله قد روى عن جندب أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي إذ أصابه حجر فعثر فدمت إصبعه فقال بيتاً لعبد الله ابن رواحة رضى الله عنه هو:-

هل أنت إلا أصبع دميت
وفي سبيل الله مالقيت[1]

وعند بناء مسجد قباء ذلك المسجد الذي أسس على تقوى من الله كما جاء ذكره في القرآن الكريم، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يساهم بجهده في بناء هذا المسجد، فيحمل ما تدعو إليه عملية البناء، ويحمس أصحابه الذين كانوا يستعينون على أعباء العمل، بترديد الأراجيز الشعرية، التي يقولها عبد الله بن رواحة، فإذا قالها

(١) انظر كتابة دراسات في الشعر العربي ص ٣٠، وانظر القصيدة كاملة في ديوان عبدالله بن رواحة للدكتور باجودة، ص ٨٧.

بمن معه رددها الآخرون بصوت جماعي والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يشاركهم الكلمة الأخيرة من الشطر، والتي تمثل القافية فقط، ولا يقول السطر كله: وأبيات عبد الله الرجزية هذه هي:ـ

أفلح من يعالج المساجدا
ويقرأ القرآن قائما وقاعدا

ولا يبيت الليل عنه راقدا
ومن يرى عن الغبار حائدا[1]

ـ وفي عمرة القضاء قال ابن اسحاق في السيرة النبوية: وحدثني عبد لله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يرتجز هذه الأبيات:ـ

خلو بني النجار عن سبيله
خلوا فكل الخير في رسوله

قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله

---

(١) السيرة لابن هشام ٤ : ٤٢ ونسبها لعلي بن أبي طالب مشككا وهي من مشطور الرجز بحيث يكتب كل شطر في سطر مستقل لأنه عبارة عن بيت مستقل، والشطر الرابع سقط في بعض الروايات.

بأن خير القتل في سبيله
يارب إني مؤمن بقيله

أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله

كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله
إني شهيد أنه رسوله (١)

ورجز عبد الله بن رواحة رضى الله عنه كان نموذج الشعر المستحسن من الصحابة لما فيه من:ـ

- خفة الوزن.
- سلاسة في الأسلوب.
- قصر في المقاطع.
- صدق في العبارة.
- تعبير عن الواقع المحسوس.

---

(١) السيرة لابن هشام ٤ : ١٣ وطبقات ابن سعد ٢ : ١٢١ وروايته ضربناكم بدل قتلناكم. ورأيت الشطر ٣،٤،٥، زيادة لدى الدكتور وليد قصاب في ديوان عبدالله بن رواحة الذي صدر حديثاً عن دار العلوم بالرياض سنة ١٤٠٢هـ ص ١٤٤ وبعضها جاء عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣ : ٥٢٧.

- دفع للنفس في الارتباط بالعقيدة.
- إحساس بالعمق الديني.

وفوق هذا كله تأييد من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لمثل هذا الشعر الذي يتفق مع منهج الإسلام، : دفاعاً وتوضيحاً، فهو كلام يرغب فيه، ويحمس من أجل العمل للدفاع عنه واثبات دعائمه.

أحب الصحابة هذا الشعر ورووه ثم رددوه، في مواقف متعددة، كحفر الخندق، وبناء المسجد، وفي المعارك القتالية والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم، لم تبد معه فيه بوادر عدم الرضاء والاستحسان، ولم ينكره عليهم حتى يتجنبوه. . بل شاركهم في أجزائه، مما يعطيهم دليلاً على تأييده صلى الله عليه وسلم للشعر الصادق في فكره، العميق في تعبيره، المنبيء عن حقيقة ثابتة، والرابط للإنسان بعقيدة ربانية في الدنيا والآخرة.

كل هذا قد حصل في أشعار الصفوة الأولى من المسلمين، أمثال عبد الله بن رواحة، الذي يعتبر رائداً من روادهم فيه، وذلك لما فيه من إنباء عن الواقع وصدق في القول وتحريك للهمم.

ثم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيدهم فيه، بالمشاركة ببعض الكلمات، أو قالوه ولم ينكره عليهم.

ومن هذه الناحية ندرك حساسية الكلمة، وشفافية نفوس الصحابة، مع حرصهم على التمسك بما يتفق مع مبادىء الإسلام ومناهجه.

فهم رضى الله عنهم تجنبوا أشعار الجاهليين، وتغافلوا أشعار القرشيين، في هجاء الرسالة وحامل لوائها، حتى لا يكاد يذكر من ذلك إلا الشيء القليل، مما دفع مرجليوث على لسان تلميذه طه حسين بإطلاق رأي في كتابه الشعر الجاهلي: ينفي فيه صحة الشعر الجاهلي، آخذا من كذب بعض الرواة حجة في هذا.

فالمسلمون قد وضعوا منهجاً معيناً، وطريقة ثابتة في الاهتمام بالشعر، فما حبذه الإسلام، وسار في قالبه، وارتضاه الرسول صلى الله عليه وسلم أخذوه ومالا . . . فلا . .

ولذا تغافلوا أشعاراً كثيرة وأشاحوا الطرف عن قصائد جمة، لأن أصحابها ماتوا كفاراً ـ أو تعرضوا لأغراض تتنافى مع مبادىء الإسلام.

وعبارة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه التي قالها للرسول الكريم كما حكى ابن سعد في طبقاته بأنه قال له:

أنزل فحرك بنا الركاب: فقال عبد الله: يارسول الله إني قد تركت قولي ذلك.

تدل على أنه تخوف من قول الشعر والركون إليه لما فيه من تهديد ووعيد للشعراء، بعد أن نزلت آيات في آخر سورة الشعراء، وقال رضى الله عنه قد علم الله أني منهم.

لكن بعد أن قال له عمر بن الخطاب: اسمع وأطلع[1] لم يسعه إلا الاستجابة والإذعان، لأن في أي عمل يرضى رسول الله طاعة، وفي كل توجيه منه صلى الله عليه وسلم دلالة على الرضا.

عن العمل نفسه، وهو قول الشعر، وبرهان على تأييده، لكنه رضا بواقعة وتأييد للصادق منه فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يترك الأمر مطلقاً بل وجه ونبه، وضع حدوداً وأعطى مؤشرات.

وكما كان صلوات الله وسلامه عليه مرشداً في العقيدة، ونموذجاً في الأخلاق، وموجهاً للسلوك وحسن المعاملات، وراسماً في مدرسته المتكاملة أسس القيم، التي ترغبها المجتمعات، وتتوق إليها المثاليات، وتتطلع إليها النفوس.

---

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٥٢٧ - ٥٢٨.

فقد كانت مدرسته الأدبية ذات توجيه في المنهج، الذي يجب أن يسلكه الشعراء، والتعريف ـ بأحسن المسارب التي تنفذ إليها من داخل النفوس، فتؤثر ولا تكذب، وتحرك فلا تلهي، وتحكي الواقع فلا تبالغ فيه.

إن مدرسة الإسلام التي كان من روادها الأوائل حسان ابن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، تعتبر مدرسة الأخذ بنجابة، والتفوق في الإقتداء.

وعادة نرى أن أوائل الطلبة هم النجباء الأذكياء.

فكذلك شعراء العهد النبوي الذين امتازوا بخصائص استمدوا جذورها من التوجيه النبوي وإسترشدوا في العمل من منبع الرسالة، ورسموا معالم قوية الأركان سار عليها كل من أدرك بعض إدراكهم، في عصور الإسلام المختلفة.

وبهذا يصبح ذوق هؤلاء الشعراء الخاص، مما انطبعت به نفوسهم نتيجة للمؤثرات الإسلامية، التي دخلت حياتهم مجدداً، فاستجابوا استجابة مطلقة، وأثروا فيمن حولهم، ومن جاء بعدهم، لأنهم بأنفسهم قد تأثروا نفسياً بالتربية الإسلامية والتوجيه النبوي.. وبما جد في حياتهم من ثقافات ومعارف، ساعدت عقولهم على التطور، وأذهانهم على التوسع والنمو.

نظرة في مقتطفات من شعره:

كان عبد الله بن رواحة من كبار شعراء الخزرج في الجاهلية، ومنزلته الشعرية لا تكون إلا من مكانة عالية، وإنتاج غزير.

ولكننا عندما نقلب صفحات كتب التاريخ والأدب، لا نجد لعبد الله شعراً كثيراً في تلك الحقبة من الزمن مع أنها تشكل نسبة عالية في عمره الزمني إلا شيئاً يسيراً لا يتجاوز في رقمه الحسابي ما بين الخانتين ٥٠ إلى ٦٠ بيتاً فقط.

وهذه النتف الصغيرة مما قاله دفاعاً عن قومه، ورداً على شعراء يخاصمونهم في المعارك والأيام التي دارت بين الخزرج والأوس في الجاهلية.

وبعض القصائد لا نجد منها إلا البيت أو البيتين، مما ينبيء عن اشاحة الطرف نحو شعره من قبل الروائيين، أو زهدا منه ومنهم في تسجيله.

وقد عقدنا العزم أيضاً بعدم التعرض لذلك تعريفاً أو تحليلاً، ولا شواهد أو مقارنات، لأنها تخرج عن الغرض الذي طرقناه وهو الجانب الإسلامي في شعر عبد الله بن

رواحة رضي الله عنه، باعتباره رائداً من رواد الشعر الجاهلي، الذي بدأ مع الدعوة الإسلامية.

أما شعره في الإسلام، والذي زاد عن حصيلة شعره الجاهلي بأكثر من مائة بيت، فقد بلغ ما وصل إليه علمي من شعر عبدالله بن رواحة في الإسلام، مع أنها فترة زمنية قصيرة، أمضى اغلبها في الجهاد في سبيل الله، أو في ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ستقاء علوم الإسلام والتفقه في الدين.

أقول بلغت تلك الأبيات حوالي (١٦٤) بيتاً منها قرابة (٦٦) بيتاً من الرجز المشطور أو المجزوء.

وظاهرة عامة نلمسها في شعر عبد الله بن رواحة الجاهلي والإسلامي، وهي عزوفه عن الغزل، واتجاهه إلى الحماسة والفروسية.

وفي هذا المجال المحدود لن نورد أشعار عبد الله الإسلامية كلها، وهي وإن كانت موجودة في أمهات كتب التاريخ، وطبقات الرجال، إلا أن كلًا من الدكتور: حسن محمد باجودة والدكتور وليد قصاب، قد جمعا شعر عبد الله

في كتابين كل منهما سماه ديوان عبد الله بن رواحة، مع دراسة في سيرته وشعره.

الأول طبع بالقاهرة عام ١٩٧٢م نشرته دار التراث.

والثاني طبع في بيروت عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ونشرته دار العلوم بالرياض.

إلا أننا سنورد مقتطفات توضح بعض الأغراض التي طرق في شعره الإسلامي، وتبرهن عن تأثير الروح الإسلامية على حياة عبد الله، وملكها لجميع مشاعره.

وهذه سمة فنية جيدة تمثل تفاعل الشاعر مع الأحداث المحيطة به، وتأثير التوجيه الإسلامي في نفسه، بحيث سيطر حب الجهاد من أجل الدين على حواسه، وتفاعل مع مجريات الأمور التي تدور من حوله.

ذلك أن عبد الله بعد أن لمس من رسول الله إذناً للاستمرار، وتشجيعاً في قول الشعر وهو الذي قد عزم على تركه بدون رجعة، عاد إليه كنموذج من الطاعة لرسول الله، وعدم التخلى عن رغبة محببة إليه صلى الله عليه وسلم، وبتأكيد من عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فعبد الله في هذا الاتجاه قد سخر أدبه في خدمة الحياة والعقيدة، الحياة من حوله وتنمية النفوس، ثم قيادة جيل من الشعراء ينهجون ذلك الأسلوب، بعد أن رسم لهم المعالم، واختط العلامات البارزات.

والعقيدة التى جاء بها الإسلام تتمثل في أجلى صورها، في الارتباط مع الله والمعرفة بالواجبات المكلفة بها النفوس البشرية، والسعي نحو هدف نبيل، ومن أجل غاية مقصودة، هي نشر دين الله والجهاد من أجله، وارخاص النفس في سبيل الله، والدفاع عن عقيدة الوحدانية لله.

ثم لا يجب أن ينسى التحبيب في المصير الأخروي وما فيه من جزاء عند الله لمن قتل مجاهدا في سبيله، صابراً محتسباً، إنها الجنة التي تتوق إليها النفوس وتتطلع إليها الأفئدة.

هذا من أبرزما يراه المتطلع في شعر عبد الله بن رواحة الإسلامي، ثم في شعراء الإسلام الذين عرفوا مكانتهم فيه ودورهم التفاعلي معه.

وإذا كان الشعر من الشعور الفياض والإحساس العميق، فإن عبد الله يتطرق لأنواع من أغراض الشعر،

وبعضها يأتي متقطعاً: بيت أو بيتان متناثرة في الكتب، بل إن البعض قد ينسب لغير عبد الله.

وكل هذا يحتاج إلى تمحيص وتحقيق ومقارنة وترجيح وهذا الميدان واسع لمن سيجمع أشعاره كلها، أما منهجنا هنا فهو عن الطابع الإسلامي في شعره، وإيراد مقتطفات تمثل طرقه لأغراض الشعر التي عنّت أمامه، ثم بتحويله ذلك الغرض إلى المنهج الإسلامي، حسبما تربت عليه روحه بشعائر الإسلام، ونظرته إلى الحياة وأنها طريق إلى الآخرة ومعبر إلى دار الخلود للإنسان فيها هدف بنشر دين الله، وغاية بالإمتثال لأمر الله، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا نلمس هذه النزعة في جميع أشعار عبد الله بن رواحة، كواحد من رواد مدرسة الرسالة المحمدية، الذين أخذوا بالآداب القرآنية، وتحلوا بالأخلاق المحمدية، وأضفوا على ذلك من قدراتهم الشعرية، ومواهبهم المتفتحة في الشعر، ما جعلهم يثبتون الدعائم، ويؤكدون الأسس التي أعطت الإنطلاقة، لمن جاء بعدهم، في تسخير سلاح الشعر للدعوة الإسلامية، يبين مثل هذا في النماذج التالية: ـ

١ ـ في الرثاء: قال يرثي حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي قتله وحشي في غزوة أحد، فقد قال ابن هشام: قال ابن اسحاق: قال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة، ويشكك ابن هشام بأنها لكعب بن مالك، وهذا التشكيك حصل أيضاً عند عز الدين بن الأثير في أسد الغابة في معرفة الصحابة.. والأرجح أنها لابن رواحة رضى الله عنه لأنها في قالبه ومعانية، وأسلوبه في مديح الرسول وقبيلته، وتعيير القرشيين بالكفر والوقائع.

ومن مطلعها يتضح للناقد: براعة الاستهلال حيث ابتدأ قصيدته بما يدل على مراده الحقيقي في القصيدة، وهذا ما يعرف عند النقاد القدامى: بحسن الإبتداءات كما نلمس عنده أيضاً:ـ

ـ براعة التخلص في حسن الإنتقال بدون ملل أو إطالة من غرض لغرض.
ـ التنديد بالمشركين وتوعدهم في أيام مقبلة ستكون عليهم بإذن الله.
ـ الدعوة إلى اتباع الرسول وتوضيح أنه مرسل من عند الله.
ـ مديح بني هاشم لأنهم رهط الرسول وقبيلته، ومديح للمرثي، ففي تعداد محاسن المرثي مديح له وتوضيح لمكانته.

- التذكير بقتلى بدر من المشركين من باب إثارة حفيظة المشركين والتنكيل بهم.
- حسن الاستخدام للألفاظ والمدلولات.
- ويختمها باستدارك لطيف موجه لهند بنت عتبة بأن لا تشمت بقتل حمزة، فإن عزها وعز قومها في هذا، ما هو في حقيقته إلا ذل لما سوف يتبدى فيما بعد.
- وهذا من حسن الختام مع الالتفات فالخطاب لهند والمقصود به قريش ومن يسير في ركابها.
- تقول هذه القصيدة:-

بكت عيني وحق لها بكاها
وما يغني البكاء ولا العويل

على أسد الإله غداة قالوا
لحمزة ذاكم الرجل القتيل

أصيب المسلمون به جميعا
هناك وقد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الأركان هدت
وأنت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك في جنان
مخالطها نعيم لا يزول

ألا ياهاشم الأخيار صبرا
فكل منا لكم حسن جميل

رسول الله مصطبر كريم
بأمر الله ينطق إذ يقول

ألا من مبلغ عنى لؤيا
فبعد اليوم دائلة تدول

وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا
وقائعنا بها يشفى الغليل

نسيتم ضربنا بقليب بدر
غداة أتاكم الموت العجيل

غداة ثوى أبو جهل صريعا
عليه الطير حائمة تجول

وعتبة وابنه فرا جميعا
وشيبة عضه السيف الصقيل

ومتركنا أمية مجلعبا
وفي حيزومه لدن نبيل

وهام بني ربيعة سائلوها
ففي أسيافنا منها فلول[1]

ألا ياهند فابكي لا تملي
فأنت الواله العبرى الهبول

ألا ياهند لا تبدي شماتا
بحمزة إن عزكم ذليل[2]

٢ ـ وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني منهج عبد الله بن رواحة في هجاء المشركين، واختلافه عن صاحبيه: حسان وكعب بقوله:

وكان حسان وكعب يعارضانهم ـ يعني شعراء قريش ـ بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب،

(١) هذا البيت والذي قبله زيادة عند ابن هشام في السيرة.
(٢) انظر أسد الغابة ٢ : ٥٣ ـ ٥٤ والسيرة النبوية ٣ : ١٧١ ـ ١٧٢.

وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، وينسبهم إلى الكفر، ويعلم أنه ليس فيه شر من الكفر، فكان في ذلك الزمان أشد شيء عليهم قول حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشد القول عليهم، قول ابن رواحة[1].

وهذه استقلالية من ابن رواحة: في الشخصية الشعرية والغرض الذي قصد والفكرة التي اتجه إليها.

يبين مثل هذا في القصيدة الآنفة، وفي قصيدتين مرتا بنا في هذا وهما:ـ

ـ القصيدة التي قالها رداً على أبي سفيان بن الحارث في أمر زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

ـ ورجزه عندما كان ممسكاً بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء وبدأه بقوله: خلوا بني النجار عن سبيله[3].

ولم نرد ذكرهما لئلا يكون في التكرار إطالة.

٣ ـ أما شعر الجهاد عند عبد الله بن رواحة، فيعتبر فيه

---

(١) انظر الأغاني ١٦ : ١٦٨.

(٢) انظر ص ١٠٠ ـ ١٠٢ من هذا الكتاب.

(٣) انظر ص ١٠٨ ـ ١٠٩ من هذا الكتاب.

من المبرزين الذين لهم سمات خاصة، فهو وان كان من أول من طرقه حسب النظرة الإسلامية إلا أنه لم يكن طويل النفس فيه، مع أنه كان رجلاً مجاهداً، وفارساً صنديداً، كما كان عظيم الشأن في الغزوات والسرايا والمهمات الخاصة التي كان يعهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه.

فهو رضى الله عنه لم يكن رجلاً عادياً في الجاهلية، ولا نكرة في الإسلام، لقد كان مقداما في قومه: مكانة وشعراً، يدل على هذا أنه نقيب على قومه عندما أسلم، وجاء للمبايعة في العقبة.

وعرف له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القدر، فأحله المكانة التي تليق به، وكان بها جديراً، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم طائعاً وملازماً، وحريصاً في الأخذ، ونموذجاً في التطبيق، وخاصة فيما يتعلق بصفتين بارزتين فيه:

الشجاعة والشعر.

وإذا كان الشعر من الشعور فإن الحماسة للجهاد، قد ملكت على عبد الله مجامع حواسه، فنراه في رثاء من يقتل من المسلمين يحرك روح الجهاد والدفاع عن دين الإسلام.

وفي الردود على شعراء مكة، يضرب على وتر الرغبة في تحريك الهمم وإضعاف مكانة المشركين.

وفي مدح رسول الله والدفاع عنه صلى الله عليه وسلم، يعرض بمشركي مكة الذين أخرجوه ويتوعدهم بمواقف مقبلة وصولات جديدة عليهم من الجيش الإسلامي، الذي يستجمع قواه ليستأصل شأفتهم، ويقضي على كل من يعترض مسيرة الإسلام، أو يتصدى لأتباعه بأذى، مذكراً بأن الحياة كرّ وفر، وأن العاقبة للمتقين، الذين اتبعوا الرسالة الإلٰهية، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم، من أجل اظهارها على الملأ، وملاحقة مناوئيها.

- وعند الخروج للغزو، وهو أحب عمل إلى نفسه، يضرب النموذج من أول خطوة في المسيرة، بضرورة تثبيت العزم، على ارخاص الروح، والإقدام أثناء المعركة، وإشعار من حوله ومن يسمع نبرات أناشيده وأراجيزه، إلى أنه مقبل على معركة لا يريد العودة منها حياً.

فقد استشرف للشهادة، وتاقت نفسه إلى لقاء الله مجاهداً.

وعندما يحمى وطيس المعركة، يحرك الهمم ويحمس من

يحيط به، إلى أن هذا موقف الابتلاء، ولا بد من صدق النية، والوفاء بالعهد، والصبر عند اللقاء.

وقد يقال أن هذه المواقف تدعو إلى هذا الإحساس، ولكنها عند عبد الله بن رواحة سجية طبيعية وغير متكلفة، فالجهاد قد سرى في دمه، فهو ما يكاد يعود من غزوة إلا وقد فكر في أخرى، وخليق بمن هذه صفته أن يعتبر نفسه في جهاد منذ حل الرسول الكريم بين ظهراني قومه في المدينة، حمل سيفه على كاهله وحرك شعره معبراً ومدافعاً، وأبقى نفسه متفتحة ويقظة تترقب الأمر في كل لحظة.

ومن هنا فإن ظاهرة الجهاد والتحميس عليه، بارزة في كل شعر يقوله عبد الله، سواء في الحرب أو السلم، وإن كانت حياته كلها حرباً وجهاداً، حرب على الأعداء باللسان والسنان.

وجهاد في سبيل الله بالبدن، ومصارعة للنفس عن أن تنحرف يمنة ويسرة.

فهو في جهاد عملي وجهاد تأثيري، في نفسه وفيمن حوله.

ونعتبر شعر عبد الله منذ أن سطعت أنوار الرسالة بقلبه، ووقـرت تعاليم القرآن بين جوانحه، من الشعر الجهادي كنظرة أساسية وهدف أسمى.

فالعاطفة الأساسية التي كونت بنية الشعر في الإسلام، عند عبد الله بن رواحة تختلف تماماً عن تلك العاطفة التي كانت عنده في الجاهلية.

وموسيقى الشعر عنده بعد الإسلام قد اقترنت بعاطفته العقائدية المتفاعلة مع الإسلام وتأصلت تعبيراً مع خياله الجديد الذي ما كان يخطر بباله قبل الإسلام، ولذا نراه يكثر من الخيالات حول:ـ

ـ الجزاء المنتظر في الآخرة من جنة ونار.
ـ المحبة في الشهادة ومنزلة الشهداء.
ـ نصر الله لدينه وإظهاره على الأديان كلها.
ـ مكانة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التي ستدخل كل بيت وقلب.

وهذه الأشياء مستوحاة من القرآن الكريم الذي حرص على تتبعه والتعمق في معانيه واستظهار دلالاته، ثم التأثر به فكـراً ولفظاً في مواقف كثيرة من شعره، ثم من محبته

الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبين ذلك في كل أقواله، وخذ نموذج هذا عندما خرج في الجيش المجاهد في سبيل الله إلى مؤته في الشام، فقد جاء من خبرها بعض مما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ـ بأن عبد الله بن رواحة قال عند وداع الصحابة للجيش:ـ

لكنني أسأل الرحمٰن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي
أرشده الله من غاز وقد رشدا

وبعد أن ودع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف عنهم قال عبد الله:ـ

خلف السلام على امرىء ودعته
في النخل خير مشيع وخليل

وبعد وصوله معان بأرض الشام شجع الناس لملاقاة الروم ثم قال:ـ

جلبنا الخيل من أجأ وفرع
تفر من الحشيش لها العكوم

حذوناها من الصوان ستا
أزل كأن صفحته أديم

أقامت ليلتين على معان
فأعقب بعد فترتها جموم

فرضا والجياد مسوّمات
تنّفس في مناخرها السموم

فلا وأبى مآب لنأتيْنها
وإن كانت بها عرب وروم

فعبأنا أعنتها فجاءت
عوابس والغبار لها بريم

بذي لجب كأن البيض فيه
إذا برزت قوانسها النجوم

فراضية المعيشة طلقتها
أسنتها فتنكح أو تيئم

ثم ذكر له أشعاراً ورجزاً في هذه المعركة، كلها تلهب الحماسة، وتشد المقاتل إلى الهدف الذي خرج من أجله مثل قوله :ـ

يانفس إلا تقتلي تموتي
هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلي فعلهما هديت[1]

٤ ـ والصلة بين فكر ابن رواحة وتشبهه بروح الإسلام، وبين تعبيراته اللفظية، ومعانيه الشعرية صلة قوية تمثل الصلة بين الروح والجسد، وهي صلة العقيدة التي أحب من أتى بها، وهو محمد صلى الله عليه وسلم لأن محبته هي الموصله للاتباع، وبالاتباع يسترشد ويتلذذ عبادة بما تنطوي عليه تلك الشريعة.

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ١٥ ـ ٢١ وأسد الغابة ٣ : ٢٣٧ .

ذلك أن المعنى القائم في ذهنه، لابد أن يعبر عنه لفظاً، وهذا ما يقول فيه الشاعر:ـ

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فعبد الله لا يطرأ له بيت شعري، إلا وقد وسمه بطابع مميز، يربطه بالشريعة الإسلامية، بحيث لا تبرز قطعة من انتاجه، إلا وقد عادت تلك الأحاسيس عنده من جديد، ماثلة للعيان، ثم تعود معها تلك الظروف لتعيد التجارب الشعورية من جديد، في عمل تتجدد معالمه، وتبرز سماته، ولعل هذا الشعور هو الذي غير أفكار ومعانى عبد الله بن الزبعري بعدما أسلم في شعره الذي تحول من هجاء للرسول إلى اعتراف بمكايد الشيطان، وانحراف مع رغباته، التي تقود البشر إلى الهاوية.

وهذا ما نلمسه من أي انتاج لابن رواحة ـ خذ نموذج هذا عندما اتصل بجاريته خفية، وشكّت زوجته في ذلك، فطلبت منه أن يقرأ قرآناً إن كان صادقاً، لأنه لا يحل للجنب ذلك [1] فقال:ـ

---

(١) راجع شرح شواهد المغني للسيوطي ١ : ٢٩١.

شهـــدت بإذن الله أن محمـــدا
رســـول الـذي فوق السمـوات من عل

وأن أخـــا الأحـــقـــاف إذ يعـــذلـــونـــه
يقـــوم بديـــن الله فيـــهـــم فيـــعـــدل

وأن أبـــا يحيـــى ويحـــيـــى كلاهمـــا
له عمـــل في ديـــنـــه متـــقـــبـــل

وأن الـــذي عادى اليـــهـــود ابـن مريم
رســـول أتى من عند ذي العرش مرسل

وأن الـــذي بالجـــزع من بطن نخـــلة
ومن دونها فِلُّ من الخـــير معـــزل[1]

فقالت آمنت بالله وكذبت بصري.

ففي هذا الموقف نراه صادقاً في عمله وقوله، مع أنه في جهـاد مع نفسـه، حتى لا تنجـرف إلى حافـة الكـذب والانزلاق، وجهاد مع زوجته التي لا يحب أن يعمل معها شيئاً يناقض المبدأ الذي وقر في قلبه، وهو عقيدة الإسلام، والصدق مع الله.

---

(١) انظر الأغاني ٤ : ١٥٦.

وجهاد مع حواسه ولسانه حتى لا يقول شيئاً من القرآن، وقد تحمل أمانة الطهارة عند ذكر آيات من كتاب الله.

المعاني الإسلامية في شعره:

طبيعة النفس البشرية، التأثر بكل جديد، والإنجذاب إلى ما يشوّق وذلك من باب التجديد أو التقليد.

لكن ذلك الجديد يكون بريقاً فتتخلى عنه النفوس رويداً رويداً، حيث لم تجد فيه ما يلبى النزعات، أو يحقق الطموحات.

وللنفوس حساسية في مقاييس درجات الاشتياق والارتباط بالمشاعر المراد تقليده، كما أن للتجديد حدوداً تقف عندها النفوس، بعد أن تزن وتعاير، فتأخذ وتدع، وتستجيب أو تترك.

وهذا حكم عام في مبدأ يدعى إليه، أو تجديد يطرح على الساحة سواء كان فكرياً أو اجتماعياً، أو نظامياً من وضع البشر.

ويدخل تحت هذا المفهوم المقاييس النقدية، والنماذج

الأدبية من شعرية ونثرية، إذ نرى انجذاباً نحو الجديد الوافد. عن طريق التقليد غير المحكم. لكن الوليد غير الشرعي سرعان ما يتبرأ منه من تبناه. فيكبر ليبحث له عن هوية تربطه بنسب معين، فلا يجد، وبذا يرجع الأمر إلى نصابه ويصبح البقاء للأصلح، ويبقى ذلك الوليد بلا نسب معروف.

ولا نعتبر شاعرنا عبد الله بن رواحة من المقلدين، لا هو ولا شعراء الدعوة الإسلامية، أو مندفعين للتجديد في أغراض الشعر بدون معرفة أو دراية، باعتبار أن المقاييس العامة التي يلمسها الناس في حياتهم، بأن كل دعوة جديدة تغير مفاهيم من يربط بها. وتؤثر في مجرى حياته، بدون وعي أو إدراك للأبعاد التي ينساق نحوها.

إن النظرة في شعراء الرعيل الأول، من القيادات الفكرية في الشعر الجهادي المصاحب للدعوة المحمدية، وبعد أن استقرت في قاعدة انطلاقها الجديدة، وأصبح لها ركيزة، ويخافها مشركو مكة بصفة خاصة، وأتباعهم في هذا الشعور من مجموعة قبائل الجزيرة العربية، بحكم المركز الذي تحتله مكة وأهلها في نفوس العرب عموماً عقائدياً، لأن مرنى أفئدتهم الكعبة، توجد بين ظهرانيهم - أو على

الأصح لسكناهم بجوارها ـ ولأن أهل مكة امتازوا بين قبائل العرب بالوضع المالي المتميّز، لأنهم أصحاب تجارة، وعلاقة بالأمم الأخرى في الشام واليمن.

نقول إن النظرة في شعر أولئك، وعبد الله بن رواحة، يأتي في المقدمة. يتبين أن فكرهم وشعورهم. لم يكن وليد النظرة التقليدية. أو الرغبة في كسب الشهرة،

فابن رواحة قد منحه الله نفساً صافية، وروحاً شفافة، وقد مكّن ذلك أصالته الملتزمة، بشخصية مستقله، وصدق في الإنتماء.

يبرز هذا عندما نستقرئ شعره في الجاهلية، ثم بعد أن نغوص في أعماق نفسه مع شعره الإسلامي، الذي تبرز فيه سمات تلك الشفافية، وجلاء ذلك الإشراق المتميّز، بالصدق والإخلاص، والوفاء والإلتزام.

فلم نجد في شعره الجاهلي القليل جداً سمات شعراء عصره من تعلق بالوثنية، أو حرص على الغزل أو منافاة للذوق والعرف السائد. مما يدلنا على أن لديه نظرة خاصة حول مجتمعه وما يسود فيه،وتخالف ما عليه أبناء عصره.

ذلك أن النفس الصافية تتلمس الخلاص، وتميل إلى كل فضيلة، واتجاه سليم. . وهذا ما يبدو لنا من استقراء شعر عبدالله في الجاهلية، حيث نلمس فيه رغبة ملحة في نشدان الأكمل خلقاً وطبعاً، ولفظاً وسلوكاً.

وهذا السبب نفسه، هو الذي قاده مسرعاً، ومع الدفعة الأولى ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة من أهل طيبة الطيبة.

استجابوا فصدقوا، وبايعوا فوفوا.

دخل ابن رواحة الإسلام بدافع وجداني، واستجابة ملحة، فأسلس قيادة نفسه إلى هذا الدين الجديد، واستجاب لأوامره في أول وهله. وانجذبت تلك النفس إلى دواعي الخير الكثيرة التى يدعو لها هذا الدين.

لقد أحسّ بأنه في حياته السابقة كمن يسير في ظلامٍ دامس، لا يجد نوراً يخرجه من غياهبه، فعاش عمراً يتلمس المخارج، لأنه قد أيقن بأن لهذه المتاهات نهاية، وأن من هذا الظلام مخارج ستتبدى في يوم من الأيام.

وبين لحظة يأس ورجاء انقشعت الظلمة، وتبددت

جوانبها بإشراقة شمس الإسلام التي استظل ورفقته بفئها، واستناروا بضوئها.

فلابد أن يكون لذلك وقع مؤثر، وإحساس عميق، لا يجد حلاوته، إلا من ذاق مرارة ضده. وعاش فترة يتلمس الخلاص من ذلك الضد، الذي آلمت جروحه، واستفحلت ويلاته ومصائبه.

ولعل تلك اللذة التي أحسّ بها أولئك الأوائل من الأنصار، وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه واحد منهم، هي واحدة من عوامل الصدق والوفاء، والمعاهدة والولاء، لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر والمؤازرة في المنشط والمكره، وأن يمنعوا عنه مايمنعوه عن أنفسهم وأولادهم.

هذا الإحساس أعطى لشاعرنا عمقاً في الفهم، واتساعاً في النظرة، ويشمل هذا حرصه على استيعاب المعاني الجديدة والدلالات العقائدية التي يدعو إليها الإسلام، ليدرك أولاً، ويطبق ثانياً.

هذا التحول قد غير المفهوم للنظرة الشعرية، في مقاييس ابن رواحة، تلك المقاييس والمعايير التي استمدها من نظرة الإسلام، واهتمامه بالدلالات: عبارة أو أسلوباً، لفظاً أو

إحساساً، فكان جديداً في مسيرته الأدبية، وجديراً بالريادة في منهجه هذا.

ثم كان لعبد الله محرك آخر أثار حماسته وغيرته. عندما رأى شعراء مشركي مكة يبدأون صراعاً كلامياً، وحرباً شعرية. ضد الرسالة وحاملها، فاعتز كفار مكة بشعرائهم المقاويل، واهتزوا طرباً من كلامهم المسلط، حيث حسبوا أنهم كسبوا الميدان بالمبادرة، وغلبوا في هذا بالكثرة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة حرّكت الشعور الوجداني، لدى شعراء الدعوة، وعبد الله في مقدمتهم عندما حثّ الأنصار على تأييده، والدفاع عن الرسالة في رد مقال بمقال، مقال كاذب، ومبالغ فيه، بمقال صادق، يوضح الحقيقة وينير الطريق لمن في قلبه نبضة إيمان.

قال صلى الله عليه وسلم للأنصار: «مايمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم»؟.

كان لزاماً على شعراء المدينة، قاعدة الإسلام الجديدة، ومهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن ينشطوا بعد هذه المقالة، وأن يتحركوا بعد إعطائهم المؤشر الإيجابي، من

رسـول الله صلى الله عليه وسلم، والإذن بدخـول هذا الميدان لمصاولة شعراء المشركين فيه.

فكان لدخول ابن رواحة وحسان وكعب، هذا المعترك، نظرة عامة، بإفساح مجال، وتنشيط الملكة الشعرية الفنية، لأنهم دخلوا ميداناً استمدوا معانيه وأخيلته، من بحر الإسلام الزاخر، ودلالته المعنوية للمفاهيم الجديدة من عقاب وعذاب، ووعد ووعيد، وجنة ونار، من مصدري التشريع فيه، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتوسعوا في تمجيد للعقيدة الصافية لله، والوحدانية في العبادة، وغير هذا من الأفكار والإتجاهات التي تلائم روح الإسلام، وتتحرك من أوامره، أو تقف عند نواهيه.

والروح الإسلامية الدينية. لا تختلف مع الروح الأخلاقية، التي جاء محمد صلى الله عليه وسلم متممًا لها، ومرسخاً لها في نفوس الناس.

ذلك أن الدين والأخلاق لا يفترقان، ويسيران في طريق واحد، ويتجهان إلى غاية واحدة، تلك الغاية هي اصلاح المجتمعات، ومكافحة الشرور، والبحث عما يسعد الناس في دنياهم وأخراهم.

هذه النظرة فتحت آفاقاً واسعة أمام عبد الله بن رواحة في شعره الإسلامي فتوسع فيه فكراً وخيالاً، ولفظاً وميولاً، واستمد ذلك من معين ذلك النبع الفياض: كتاب الله الذي حرص عليه تلاوة وتتبعاً، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي ارتبط به التزاماً في الأخذ، وتأدباً في الاحتكاك، وسمتاً ووقاراً في الإلتقاء.

وإذا كان الإسلام قد جاء بآراء جديدة لم تكن مألوفة عند عرب الجاهلية من قبل في مثل :ـ

ـ الدعوة إلى إله واحد لايدرك بالبصر «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»[1].

ـ ترك الأصنام، ونبذ كل معبود غير الله الواحد: **«أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذاً قسمة ضيزى، إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى»**[2]

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٢) سورة النجم آيات ١٩ ـ ٢٣.

- أخبار الأمم الماضية، والرسل مع قومهم، وهذا لم يكن مألوفاً من قبل عند العرب.
- الجنة والنار والجزاء والعقاب، والإخبار عن الأمور الغيبية مما لا يدركه الحس العادي.
- القيم والأخلاق الجديدة، والتي تنبذ العصبية القبلية، والحمية من أجل النسب.
- إقامة الأمة على رابطة العقيدة، والطاعة لولي الأمر، وتنظيم المجتمع.
- تحريم ماله تأثير سيء في النفوس أو المجتمعات، كالزنا والخمر والميسر والسحر وغير ذلك.

هذه المفاهيم الواضحة، التي تلامس أوتار القلوب، وتستجيب مع النفوس النقيّة، وجدانياً وفكرياً.. هي التي أثرت في إقبال الناس على دين الإسلام، وتركت جليل الأثر في نفسيته، وشعر عبد الله بن رواحة، حيث ظهر له الفرق بين حالة سابقة، وحالة جديدة: السابقة التي تمثل الظلال، ومالا سبيل إلى فهمه، والحالة الجديدة أنوار الحق والإسلام، والأوامر والتشريعات الواضحة التي تلامس الوجدانيات في الإنسان، وتلبِّى متطلباته الفردية والاجتماعية.

فتغيرت أفكار ابن رواحة الشعرية، وتغيّر تبعاً لذلك فهمه لرسالة الشعر، ودوره في الجهاد، والمجاهدة. جهاد في سبيل الله، ووقوف ضد أعداء الرسالة، الذي أشهروا سلاح الكلام، ونفثوا، في صدورهم شعراً ليرضوا به جبابرة قريش، الذين وقفوا من الرسالة موقف المعاند المكابر، ومجاهدة للنفس لكي تتغلب على عدوها الباطني، وهواجسها الداخلية، في صراع يتفاعل بين الخير والشر، فهي أعداء ثلاثة: نفس وهوى وشيطان.

نلمس مثل هذا في مثل قوله :-

١ - قال من قصيدة في رده على عباس بن مرداس الذي امتدح بني النضير عقب إخراجهم من المدينة سنة أربع من الهجرة :-

وأجْلبَ يبغى العزّ والذل يبتغى
خلاف يديه ما جنى حين أجْلَبَا[1]

وهذا اللفظ في كلمة الفعل «جلب» جاءت في القرآن الكريم، في سورة الإسراء، وهي سورة مكية، في قول الله

---

(١) انظر السيرة ج ٥ ص ٢١٣، وديوان ابن رواحة للدكتور قصاب ص ١٣٧.

تعالى: (**واستفزز من استطعت منهم بصوتك، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم، ومايعدهم الشيطان إلا غروراً**)[1].

ولما كانت الكلمة جاءت في الآية الكريمة للشيطان، فإنها قد جاءت عند ابن رواحة لأعداء الرسالة المحمدية.

- وفي نفس القصيدة نراه يقتبس من القرآن الكريم كلمتين جاءتا في القرآن الكريم هما: بعداً وسحقاً.

عندما قال:

فبعداً وسحقاً للنضير ومثلها
إن أعقب فتح أو إن الله أعقبا[2]

وقرن البعد والسحق ببني النضير، ومثلها من يشاركها العداء للإسلام وأهله.

وهذا المعنى قد استقاه لفظاً ودلالة من الآيتين

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٤.
(٢) من القصيدة السابقة.

الكريمتين: **﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾**[1] وهي من سورة الملك المكية.

وقوله تعالى في قصة قوم نوح، وهي مكية أيضاً: **﴿واستوت على الجودي وقيل بُعْداً للقوم الظالمين﴾**[2].

ودلالة اللفظتين في القرآن الكريم، وعند ابن رواحة تعني الزجر والطرد، وتشعر بألم العقاب الواقع بعد أن حلّت النقمة على سوء التصرف.

٢ ـ والرحمة والمغفرة من المعاني التي لم تعرف عند الجاهليين، فهي مما جد من المعاني القرآنية، والدعوة الإسلامية الجديدة التي دخلها ابن رواحه، وكذلك ثواب الجهاد من الأمور التي لم يكن المقاتل قبل الإسلام يسعى إليه، أو يدور في خلده، فقد كان يقاتل من أجل الإنتصار، ونصر قبيلته، والتغلب على خصومهم.

وهذا ما يتغنى بها شعراء الجاهلية.

أما عبد الله بن رواحة، فنراه عندما يبكي نافع بن بديل

---

(١) سورة الملك آية ١١.

(٢) سورة هود آية ٤٤.

ابن ورقاء الخزاعي، أحد الرجال الذين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونه في صفر من عام أربع، حيث غدر بهم عامر بن الطفيل فقتلهم جميعاً يذكر الشعور الإسلامي الذي يرتجيه المقاتلِ في سبيل الله ويؤمل المغفرة للمقتول، ويذكر محاسنه آخذاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذكروا محاسن موتاكم»، وهذا ضرب من ضروب ريادته في الشعر الجهادي في الإسلام يسمع فيمتثل، ويعلم فيطبق.

يقول ابن رواحة:

رحم الله نافع بن بديل
رحمة المبتغى ثواب الجهاد

صابر، صادق، وفّي إذاما
اكثر القوم قال قول السداد[1]

٣ ـ الجنة والنار من المعاني الإسلامية، التي عرفها المسلمون، وفق شرع الله في كتابه الكريم، وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتحية الإسلام، في الدنيا

---

(١) السيرة النبوية جـ ٣ ص ١٩٨. وانظر ديوانه ص ١٣٢.

عند الإلتقاء، وفي الآخرة لأهل الجنة، مما طرأ على حياة المسلمين، وعرفوه عقيدة، وطبقوه عملاً.

فكان لزاماً على شعراء الدعوة أن يكونوا آذاناً صاغية، تستمع فتعي، وتدرك فتنفذ، وهذا ما جبلت عليه شاعرية عبدالله بن رواحة، ونفسه الطيبة في كل أمر يعرض له.

ـ يقول من قصيدة يرثي بها حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، بعدما استشهد في غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة :

عليك سلام ربك في جنان
مخالطها نعيم لا يزول[1]

ـ ويتوعد أبا سفيان بنار جهنم، إذا لم يترك غيه ويرجع إلى الإخلاص مع الله سجوداً وعبادة كنموذج للطاعة لله، والوحدانية للخالق في مثل قوله الذي يدعوه فيه للإسلام:

فأبلغ أبا سفيان إما لقيته
لئن أنت لم تخلص سجوداً وتُسْلِمِ

---

(١) السيرة النبوية جـ ٣ ص ١٧١.

فأبشر بخـزي في الحـيـاة معـجـل
وسربـال قارٍ خـالدٍ في جهـنـم[1]

وبهـذين البيتـين نجـد مدلولات إسلامية، غير الوعيد بجهنم، فالإخلاص بالسجود تعبير إسلامي جيد، لأنه لا يجوز السجـود لغـيره، والإخـلاص يعني الإتجـاه إلى الله بذلك، ولذا سميت لا إله إلا الله كلمة الإخلاص.

وجاء في القرآن الكريم سورة الإخلاص، التي تعدل ثلث القرآن. وكلها ثناء على الله جلت قدرته.

ثم قولـه أبشر بخـزي، من التعبـيرات القرآنية، التي تحمـل معنى التهكم والسخـرية من المكـذبـين المعاندين لرسول الله، وماجاء به من عند ربه.

قال سيد قطب رحمه الله في الظلال في قول الله تعالى: **(وبشر المنـافقـين بأن لهم عذابـاً أليـمًا، الـذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)**[2].

---

(١) انظر ديوانه ص ١٣١، وانظر البداية والنهاية جـ ٣ ص ٣٣٠ وقد نسبها ابن اسحاق لابن رواحة وابن هشام لأبي خيثمة.

(٢) سورة النساء آية ١٣٤.

تبـدأ الجملة بهذا التهكم الـواضـح في استعمال كلمة «بشر» مكان كلمة أنذر، وفي جعل العذاب الأليم الذي ينتظر المنافقين بشارة ! ثم ببيان سبب هذا العذاب الأليم، وهـو ولايتهم للكافرين دون المؤمنين، وسوء ظنهم بالله، وسوء تصورهم لمصدر العزة والقوة[1].

ونجد المنهج القرآني واضحاً في معاني ابن رواحة، والتي أتوقعه أخذها نصاً من هذه الآية الكريمة أو من غيرها من الآيات المماثلة لها في الدلالة والتعبير.

ومثل هذا يبرز في ردوده على شعراء المشركين، أكثر مما يبرز لدى صاحبيه. حسان وكعب.

٤ ـ وفي أكثر من موضع من كتاب الله الكريم، نجد عبارات ومعاني للأبيات الرجزية، التي قالها عبد الله بن رواحة في الأيام الأولى من وصول الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة، إذْ كان أول عمل قام به صلى الله عليه وسلم، بناء مسجد قباء، فقد أسـسه في الأيام الأولى أول مسجد بني في دار الهجرة، فقال عبد الله بن رواحة منشطاً للمسلمين وهم يعملون في بناء المسجد.

---

(١) الظلال جـ ٥ جلد ٢ ص ٢٣٨.

أفــلح من يعــالــج المــســاجــدا
ويــقــرأ الــقــرآن قائــمًا وقــاعــدا

ولا يبــيــت الــلــيــل عنــه راقــدا
ومــن يرى عنــه الــغــبــار حائــدا[1]

- فقد أفلح وردت في القرآن الكريم وحدها أربع مرات، أما يفلح والمفلحون: فعلاً أو اسمًا فقد جاءت في كتاب الله ٣٦ مرة. ورجل كعبد الله بن رواحة مرتبط بكتاب الله، لابد أن يؤثر فيه لفظه، وما يرمز إليه من معنى قريب وبعيد.

- والمساجد جمع مسجد من الإصطلاحات التي جاء بها الإسلام، للدلالة على مكان العبادة وهذا المعنى جديد في حياة العرب عن تحديد مكان مخصص للعبادة.

ويعتبر مما جد في اللغة العربية تخصيص كلمات ترمز لعمل معين بعد الإسلام: مسجد لمكان العبادة.

---

(١) السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٤٢ وديوانه ص ١٢٩، وقد سمعت من علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

وصلاة لواحدة من الصلوات التي تؤدى في وقت معين وبركعات محدودة، وعلى صفة، مميزة.

وزكـــاة: لأداء الفــريضـــة التي هي ركن من أركــان الإسـلام، وتؤدى من أموال الأغنياء، لتعطى لمستحقيها الثمانية الذي حددتهم سورة التوبة.

والشفـاعـة: بمفهـومهـا الإسـلامي التي تعني شفاعة الرسول أو أحد المستحقين لها يوم القيامه.

والقائم، والقاعد في التعبير المجازي، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ويراد به الصلاة.

ومثله الـرقـاد كنـاية عن كثـرة النوم، وعدم قطعه في التهجد تلاوة للقرآن، أو صلاة وعبادة، ويوم القيامة الذي لم يدرك دلالته بالمفهوم الإسلامي وحسبما جاء في القرآن إلا المسلمون حيث كان الكفار ينكرونه.

وغير هذا من التعبيرات التي تعطي مدلولاً معيناً، وسمة لنـوع من العبادات لم تكن معروفة لدى عرب الجزيرة، ولكن الإسلام أعطاها بروزاً في المعنى، ودلالة في المفهوم تجد مثـل هذه الأشياء بمفهـومهـا الإسـلامي، ودلالتهـا

الجديدة بارزة في شعر عبد الله بن رواحة أكثر من صاحبيه، إذْ يندر أن نجد له مقطوعة شعرية دون أن تأخذ هذه السمة، أو تظهر فيها هذه التأثيرات الإسلامية، التي أصبحت جزءً من نفسه، تتفاعل مع أحاسيسه وتأتي على لسانه عفوية، وبكثرة، لأن قلبه قد أيقنها، وأحاسيسه قد تشبعت بهذا المفهوم فكراً وعملاً.

خذ نموذج هذا قوله في التمويه على زوجته، بعد ما خلا بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حق
وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طافٍ
وفوق العرش ربُّ العالمينا

وتحمله ملائكةٌ كرام
ملائكة الإله مقربينا[1]

---

(١) انظر جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصرى ص ٣٨ مع كمال القصة

فهذا فكر كامل، وإحساس إيماني عميق، جاء إليه من عقيدة الإسلام الصحيحة التي رسخت في نفسه، وتحكمت في مشاعره.

وذكره للأنبياء عليهم السلام، وإيمانه بهم، بما يتناقض مع مفهوم أهل الكتاب، وقولهم عليهم بغير حق.

كما أنـه لا يمكن إعـادة ماجـاء به عن عيسى ويحيى وزكريا والأحقاف، إلى تأثره باليهود حيث يجاورون قبيلته المسكن.

فإن مفهـوم ابن رواحة ينطلق من المفهوم الإسلامي، الـذي يرد على أولئـك قولهم على مريم بهتاناً عظيمًا، أو كذبهم على أنبياء الله، وابن رواحة يأخذ معناه من السياق القرآني، ودلالاته في هذا الصدد، ذلك المفهوم الذي فنّد آراء أهل الكتاب وأباطيلهم في حوار فكري هادىء، يرد مزاعمهم، ويوضح الحقيقة، ومن ذلك استقى عبد الله بن رواحة في قوله:

شهـــدت ـ بإذن الله ـ أن محمـــداً
رســول الـذي فوق السمـوات من عل

وأن أبــا يحيــى ويحيــى كليــهــما
له عمــل في ديــنــه متــقــبّــل

وأن الــتي بالجــزع من بطنٍ نخــلـه
ومــن دانها فِلٌّ من الخــير معــزل[1]

وأن الــذى عادى الــيــهــود ابــن مريم
رســول أتى من عند ذي العرش مرسل

وأن أخــا الأحــقــاف إذْ يعــذلــونــه
يجاهــدُ في ذات الإلٰــه ويــعــدل[2]

٥ ـ وفي دفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبرز عقيدته الإسلامية، ومحبته للرسول الكريم، الذي هو من كمال الإيمان وتمامه.

---

(١) الجزع قرية على يمين الطائف، ويريد ببطن نخلة المكان الذي بين مكة والطائف وفيه كانت تعبد العزّى، دانها عبدها. والغل الخالي من الخير، والأرض الغل التي لانبات فيها، معزل: منقطع.

(٢) أخا الأحقاف هود عليه السلام، راجع الأغاني ٤: ١٥٦، وديوانه ص ١٦٣.

وتصديقه بالرسول صلى الله عليه وسلم، يعتبر فكراً جديداً في نفسه، وهاجساً في وجدانه، ومعنى بارزاً تجلى في شعره، يخالف ماسار عليه شعراء الجاهلية بل يناقض مسيرتهم، في الحياة، ومنهج قومهم من مشركي قريش خاصة، والعرب عامة حيث كانوا لهم تبعاً، وهذا المنحى الذي سار فيه عبد الله بن رواحة، وشاركه فيه شعراء المدينة من الأنصار يعتبر طريقاً جديداً، وأسلوباً إسلامياً.

إذْ محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنزلته من نفوسهم، تستوجب عليهم الأثرة والتقدير، وإحلاله من نفوسهم وقلوبهم أسمى المراتب.

وهذا يستوجب تحسس مايرضيه صلى الله عليه وسلم وانتهاجه، وتلمس مايؤثر فيه واجتنابه، آخذاً من مبدأ العقيدة، الإسلامية التي تستقى من أقواله صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**».

فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، والدفاع عنه فكر جديد، وتنبيه الفكر في أساس الحقيقة الوجودية هو تنبيه الإنسان لكي يقول قولاً معقولاً، ينبيء عن مكنونات نفسه العميقة.

ومكنونات عبد الله بن رواحة العميقة للرسول صلى الله عليه وسلم، محبة راسخة، وعقيدة مكينة، ومن هنا أكثر من التعبير عن ذلك وأجاد.

خذ مثلاً قوله، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويهجو رجالاً من قريش، بعد أن دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذن له بالقول في قريش، حيث كان حذراً وحريصاً على تلمس مايرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغير مجرى القصيدة في الحال كما ذكر ابن سلام في طبقاته.

تقول تلك القصيدة :-

إني تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

ولــو سألـت أو استـنصرت بعـضـهـم
في جلّ أمــرك ما آووا ولانصروا

فخــبروني أثــمان الــعــبــاء متــى
كنــتــم بطاريـق أودانـت لكـم مضر[1]

نجــالــد النــاس عن عرض فنـأسرهم
فيـنــا الـنبي، وفينــا تنـزل الســور

وقــد علمــتــم بأنــا ليس يغــلبــنـا
حيّ من النــاس إن عزوا و إن كثـروا

ياهــاشــم الخــير إن الله فضــلكــم
على الــبريــة فضــلاً مالــه غير

إني تفــرســت فيـك الخـير أعــرفــه
فراســة خالـفـتـهـم في الــذى نظروا[2]

---

(١) أدرك رضى الله عنه عندما وصل إلى هذا هذا البيت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذْ جعل قومه أثمان العباء فغيّر مجرى الحديث بالبيت الذي يليه، ليسدد نقصاً حصل منه.

(٢) انظر طبقات الشعر لابن سلام جـ ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٢٦ وديوانه ١٥٩.

هذه واحدة من القصائد التي تحكي الواقع، وتعبر بصدق، لاحشو فيها ولا مبالغة، ولا تكرار ولا مغالاة، أو إيغال في المديح، من حشو في العبارات، وحشر للألفاظ، وتكرار لفضول الكلام، أو إيراد لألفاظ لا تفيد في المعنى، وإنما يدخلها الشاعر للقافيه أو التحسين اللفظي.

حيث يعتبر ابن رشيق [ـ ٣٩ ـ ٤٥٦ هـ]، أن العرب بالنسبة للمبالغة على ضربين: منهم من يستجيدها، ومنهم من يعيبها وينكرها، ويراها عيباً وهجنة في الكلام، حيث نقل رأياً لبعض الحذّاق بنقد الشعر جاء في: المبالغة ربما أحالت المعنى، ولبّسته على السامع، فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره، لأنها لا تقع موقع القبول، كما يقع الإقتصاد وما قاربه، لأنه ينبغي أن يكون في أهم أغراض الشاعر والمتكلم أيضا الإبانة والإفصاح، وتقريب المعنى على السامع[1].

وعبد الله بن رواحة في مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم، قد جمع الفصاحة وقرّب المعنى، ونحىٰ هذا الإتجاه، فحلَّ منطق شعره في الصدور، وقبلته النفوس، لما

---

(١) العمدة ٢ : ٥٣.

فيه من إشارات لطيفة، ومعان مستمدة من القرآن الكريم في لفظها ودلالتها، ثم لباقة لطيفة في حسن التخلص، والانتقال بسرعة من غرض إلى غرض، أو على الأصح قلب المعنى بما يريح نفس السامع، والمعنّي بالقول، قبل المقولة فيه.

وها هو ذا مرة أخرى يقود راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين دخلٍ مكة معتمراً في السنة السابعة من الهجرة، ويتمثل قائلاً ويتحدى مشاعر مشركي مكة، ويستفزّ أحاسيسهم بهذا القول:

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلو فكل الخير في رسوله

ياربّ إني مؤمن بقيله
أعرف حقّ الله في قبوله

نحن قتلنا كم على تأويله
كما قتلناكم على تنزيله

ضرْباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله[1]

ولئن كان من أساليب المدح الإشادة، مع نقاوة الألفاظ وعموم المعنى، فإن البيت الأول قد جمع بين هجاء ومديح. هجاء للكفار بصفة الكفر والذّلة، والإنكسار عندما يفسحون الطريق لمرور قافلة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومديح للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كما هو واقع الحال، وبرهان الرسالة السماوية التي جاء بها من عند ربه، خير وسعادة، ومنزلة عالية، في الدنيا والآخرة.

ولئن كانت هذه الأبيات مليئة بألفاظ إسلامية، وعبارات بينها القرآن الكريم، فأخذها ابن رواحة نموذجاً في التعبير مثل :-

الكفار، رسول الله، مؤمن، تأويله، وتنزيله [والضمير فيهما يعود لقيله وهو القرآن الكريم].

---

(١) السيرة لابن هشام جـ ٤ ص ١٣.

فإنها مع قصرها مليئة أيضاً بالأساليب النقدية، التي اعتمدها نقاد الأدب القدامى كعناصر مهمة في التبويب النقدي عند أجدادنا العرب.

ـ فهو قد جمع في البيت الأول بين ضدين في المعنى، هجاء في الشطر الأول للمشركين، وأن تحديهم للرسالة السماوية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قد أوقعهم في طريق الهوان، ومديح للرسالة وحاملها صلى الله عليه وسلم، ويدخل هذا في حكم المطابقة.

ـ طرق باب التقسيم في البيت الرابع عندما حدد نوع القتل بالضرب، الذي لا يخرج عن حالتين:ـ

إما ضربة قاتلة تزيل الرأس عن العنق، وهذا معناه الموت.
أو ضربة غير مميته ولكنها تذهل الخليل عن خليله، لأنها موجعة ومخيفة.

ـ وفي بيته الثاني فسّر ما أراده في عجز البيت الأول، عن الخير في رسول لله صلى الله عليه وسلم، حيث بدأه مجملاً: بأنه مؤمن بقيله، وأنه يعرف حقّ الله في قبول هذا الأمر.

وكـأنـه يريد أن يقول هذا تفسير للخير، وتوضيح لما اقتنعت به، مما جاء به رسول الهداية صلى الله عليه وسلم، ولذا فنحن معه بأرواحنا وما نملك.

وهـذا التعبـير كفيل بإخـافتهـم من التعـرض للرسول بأذى، لأن الشعـر يعبر عن مكنون النفوس، وما سوف تطبقه عملاً لو اعترضه معترض.

- ولئن كان قد جمع في البيت الأول بين معنيين متضادين، فإن المعنى الثاني في العجز، يعتبر متمماً بالحسن لمضمون الرسالة المحمدية، بأقصر عبارة، ذلك أنه بعد أن طلب منهم إخلاء المكان، وإفساح الطريق عطف على السبب، واحترس في المعنى إلى توضيح السبب، وهو شموله للخير كله، وسعادة من تبعه في هذا الدرب، فطريق الرسول هو الخير بحذافيره.

- وتكـرار اللفظ في البيت الثـالث قتلناكم.. في الشطر والعجز، يعتبر من التكرار في اللفظ مما يؤكد المعنى في نفس السامع.

ففي هذا معنى راسخ، عن مجاهدة المسلمين للكفار على سببين من القـرآن الكـريم: على تأويله وتحريف معناه،

ووضع المعنى في غير الحقيقة التي أرادها الله، إذْ القرآن الكـريم واضـح العبارة بيّن الدلالة لا يحتمل تأويلاً، أو تعديلاً في المفهوم، فهو لسان عربي مبين.

وعلى تنزيله: حيث أنكروه جملة وتفصيلاً، وحاولوا وصفه بنعوت متعددة من باب التنفير منه، والتشكيك في وجوده، وبلبلة أذهان الناس حياله.

فكأن التكرار لتأكيد الفعل على حالتين هامتين ولازمتين.

لو أردنا أن نسير مع شعر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الإسلامي، فإننا سنجده من السهل الممتنع قلة في العطاء، وكثرة في الدلالة.

وما نجد النقاد القدامى، قد طرقوا باباً من أبواب التحسين اللفظي أو الإجادة المعنوية، إلا ونجد شعر عبد الله بن رواحة قد ضرب فيه بسهم وافر، وأخذ منه بنصيب الأسد.

وما نرى باباً من أبواب عيوب الشعر مما تعرض له النقاد، إلا وابن رواحة رضى الله عنه بعيد عنه، في شعره ومقالته، وفي مقصده ونواياه.

فرحم الله ابن رواحة فقد كان :ـ

ـ مثله القرآن الكريم، يستمد منه في اللفظ والمعنى، يتقيد بلفظه على الدلالة المعنوية التى يريد.
ـ ويسترشد منه في أسلوبه التعبير في قصر العبارة، ووفاء المعنى، وشمول الدلالة.
ـ ويدافع عنه وعمن جاء به من عند الله، بقلب مطمئن، ونفس تمثل الفدائية في أجلى صورها.
ـ ويأخذ منه أسلوب الجهاد، حتى أصبح رائداً فيه: جهاد للنفس، وجهاد للكفار باللسان ثم السنان، حتى أرخص نفسه في سبيل الله، فطبق الريادة عملاً، وصدق في الميدان القتالي، كما صدق من قبل في ميدان الشعر، وباتباع الرسالة، وبالوفاء وتصديق الرسالة.

ابن رواحة وقضية الالتزام :

اختلف الباحثون في دلالة ومضمون الالتزام في الشعر:ـ

ـ فمنهم من يراه في التزام قافية بعينها، استوحوا ذلك من لزوميات أبي العلاء المعري، فقد التزم حروف الهجاء في قافية من الهمزه إلى الياء.

ـ ومنهم من يراه في التزام غرض واحد، وقد استوحوا ذلك من قيس بن الملوح «مجنون ليلى» الذي سار على منهج واحد في الغزل، بعد أن تعلّق بليلى حتى أصبح لا يذكر غيرها، ولا يفيق إلا بسماع اسمها أو صوتها، فأصبحت الحالة عنده حالة مرضية.

ـ جاء المحدثون ليعتبروا الحديث في القضايا الوطنية والسياسية نوعاً من الالتزام، أحوجت إليه ضرورة الشعوب إلى مكافحة الاستعمار وإيقاظ الهمم.

ـ لكن الناحية الفكرية الإسلامية، والتزام أسلوب التفاعل، مع الفكر الذي نشأ في المحيط الذي يعيش فيه الشاعر، ويتحرك في جوانب مجتمعه.

هذا المنهج من الالتزام هو الذي جدّ في المجتمع المدني، بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جوار الأنصار في طيبة، حيث أخذت منذ تشرفها بطلعته صلى الله عليه وسلم، اسم المدينه، بالتعريف، أو بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم.

فابن رواحة رضي الله عنه، تفاعل في هذا، والتزم جانباً لم يحد عنه في أي غرض طرقه، طوال فترة حياته، فيما وصل إلينا من شعره.

فكان تفاعله هذا من داخل واقعه الذي يعيش فيه، بعد أن فهم خفايا ذلك الواقع، وأدرك كنه ومكانة الأمر الذي يدعو إليه الإسلام.

ومكانة عبد الله بن رواحة الشعرية التفاعلية، التي تبرز دوره في الإلتزام تكمن في نقاط منها:-

- قدرته الشعرية، وهذه موهبة أعطته منزلة في الجاهلية، كمدافع عن قومه، وذاكر لأيامهم، ومنزلة في الإسلام بالتزام جانب الدفاع، ولكن بتحوير التفاعل من نظرة الجاهلية، وحيّزها المحدود، إلى شمولية الإسلام، وأفقه الواسع..

- سرعة تأثره، وتشبعه بمتطلبات الإسلام، ونظرته العامة إلى النواحي الفكرية التي تشمل تغيير بنية المجتمع، ومنهج الناس في القصيدة، والنظرة إلى مكانة الإنسان ودوره في إصلاح البيئة التي يعيش فيها، استمداداً من معتقدات الإسلام، وما تدعو إليه تعاليمه: في كتاب الله وسنة رسوله الكريم.

- تحويره أغراض الشعر، إلى ما يتلاءم مع نظرة الإسلام، وصياغته لها في قالب إسلامي متكامل الفكرة والمنهج، واللفظ والمعنى.

وهذا الجانب الإلتزامي عنده دفعه إلى أمور منها:ـ

١ ـ حرصه على اختيار ألفاظ إسلامية، جدّت في حياة الناس، ولم تكن معروفة بمفهومها الجديد عند عرب الجزيرة عموماً.

فكان شعراء المدينة، وعبد الله بن رواحه رائدهم في هذا ممن حرص عليها، والتزمها في قوله وفرضها على سامعي شعره ليرسّخها في أذهانهم.

٢ ـ طغيان الفكر الإسلامي من حيث النظرة للحياة الدنيا، والآخرة والكون والسعادة والشقاوة.

وإرجاع أسباب هذا إلى اتباع الرسالة، أو معاندتها والوقوف ضدها.

٣ ـ هجران كثير من الألفاظ والمعاني، التي تعطي نظرة جاهلية، أو تتمشى مع الفكر الإسلامي، حيال القصيدة أو الإرتباط بالله جلّت قدرته.

٤ ـ تجنب بعض الأغراض الشعرية، التي لا يبرز فيها شمولية الإسلام، وفكره، سواء نحو الشخص ومن يعايش، أو المجتمع وما يدور فيه.

ويدخل في هذا الغزل ونظرة الإسلام نحو المرأة، وكبح شهوات النفس وغرائزها، وتجنب الغيبة والنميمة في الهجاء، أو المغالاة في المديح والرثاء، ومن هذا الجانب نرى شعر عبد الله بن رواحة القليل بين أيدينا، قد أشاح فيه الطرف عن أغراض عديدة من باب دع ما يريبك إلى مالا يريبك، لأن إزالة الضرر بتجنب أسبابه المؤدية إليه، هو أسهل طريق لتوفير أسباب السلامة.

٥ ـ هيمنة الجهاد على تصرفاته عملاً، ومقولاته شعراً ونثراً، وأفكاره إحساساً.

والجهاد جزء من الفكر الإسلامي، والتوجيه القرآني.

والجهاد عنده أنواع:ـ

ـ جهاد النفس، ومغالبة هواجسها.

ـ جهاد الكفار بالسلاح، ومقارعة الأعداء في ساحة الحرب.

ـ مغالبة شعراء قريش، والوقوف ضدهم برد أقوالهم، والتنديد بهاهم عليه.

ـ مجاهدة الشيطان في نفسه أولاً، ومع من يحيط به ثانياً من أهل وأقرباء. فيعاونهم على مدافعة. شر هذا العدوّ اللدود.

وفي كل الحالات كان ابن رواحة رضى الله عنه، صاحب التزام بالقول والعمل، في منهجية ثابتة لا تتزحزح، واستقاء من روافد العلم، التي تعين على الثبات، خلال جلسات منتظمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، مادام لم يكلّف بمهمة جهادية خارج المدينة.

ـ وقدرة ابن رواحة على الإلتزام بخط الدفاع عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والدعوة الإسلامية، التي جاءت لإسعاد البشرية، وإخراج الناس من ظلمات الجاهلية، إلى نور الإسلام، جاءت من إحساس باطني مبعثه لذاذة ما وقر في نفسه من حلاوة الإيمان، فكان هذا المنهج ضمن ما اختطه عبد الله بن رواحة في بداية عصر جديد للفكر الإسلامى، بإيجاد مدرسة إسلامية شعرية، تستمد منهجها في المؤثرات الجديدة، وفكرها من معين

القـرآن الـذي لا ينضب وهـذا مما حدى بأربـاب هذه المدرسة، وفي مقدمتهم عبد الله بن رواحة إلى أن :-

- يجعلوا الشعر، يتفحص المعنى بدقة إلى ما وراء الكلمات من معانٍ فكرية بعيدة المرمى، فيغوصوا عليها في سباحة العارف والواثق.

- يجعلوا الشعر يتحول من النظرة الشخصية أو القبلية، إلى الإهتـمام بالجـانب العلمي الإسـلامي، فكـانت مدرسـة يستفيد منها السامع.

- يختاروا الألفاظ ذات الدلالة المتميزة، وهذه تعني الألفاظ الإسلامية التي لم تكن معروفة في بيئة الجاهليين بمدلولاتها الجديدة، ومصطلحاتها الدقيقة.

ويدخل في هذا المفهوم ما يطلق عليه في العصر الحاضر قضية التجديد في اللفظ والمعنى.

وإذا كانت قضية الشكل والمضمون في أعراف نقاد هذا الجيل، أو قضية اللفظ والمعنى عند النقاد القدامى، قد أخذت مفاهيم متعددة من حيث الاعتبارات، ونشأ حولها مدارس متنـوعـة من حيث التـزام نوع معـين من تلك

التفريعات التي نتج عن ذلك، كل على حسب دلالته ومفهومه.

فإننا لا نحب أن نتوسع في هذا الميدان، كما أننا لا نحب أن نطرق نظرية المعرفة التي تدور فيها الصلة بين الذات والموضوع، وما حام حولها من فلسفات في تخريج آراء الأوائل من النقاد، وتحليلها على المفاهيم المتداولة حالياً، وأغلبها مستقاة من نظرة النقاد الغربيين الذين أدخلوا المنطق والفلسفة في النظرة التحليلية للنقد الأدبي.

لكن الذى يهمنا هنا ما يتعلق بالنظرة العامة إلى شعر عبدالله بن رواحة رضى الله عنه فهو وإن كان قد سبق النقد، وما أورده النقاد نحو هذه المصطلحات، فإنه قد نظر على أن الشعر صياغة، وضرباً من النسج كما قال بذلك الجاحظ[1] وأبو هلال العسكري[2] فيما بعد.

أو بما قال به قدامة بن جعفر: بأن الشعر لا يحسن أن يحكم عليه بمعناه وإنما بصورته حيث ضرب مثالاً بالنجار الذى لا يعاب برداءة الخشب، وإنما برداءة الصنعة[3] ومن

(١) انظر الحيوان ٢ : ١٣١ - ١٣٢.

(٢) انظر الصناعتين ٤٢.

(٣) انظر نقد الشعر ١٠١.

هنا نراه، رضى الله عنه يجوّد مضمون تلك الصنعة بما التزم به من معايير وألفاظ وأخيله وبما التزمه من منهج إسلامي، يعتبر فيه صاحب سبق ورائد جيل.

فكان صادقاً في قوله، وفي مديحه، وفي أوصافه وتعبيراته يقول يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:ـ

تحمله الناقه الأدماء معتجراً
بالبُرد كالبدر جلَّى ليله الظلم

وفي عطافيه أو أثناء بردته
ما يعلم الله من دين ومن كرم[1]

حيث نراه قال حقيقة في العجز من البيت الثاني، لم يستطع التعبير عنها لأنها صفة في الرسول صلى الله عليه وسلم، فوق قدرة تعبير الشاعر بالوصف، فترك العلم بكنه ذلك لله فجاء مديحه غاية في الجودة مع صدق في العبارة.

ولذا قال ابن رشيق: لقد أجمع الناس على تقديم هذا القول في مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد نسب

---

(١) العمدة ٢ : ١٣٦ وقد نسبها لكعب بن زهير وانظر ديوانه ص ٣٥.

للأصمعي: بأنه لم يقل قط شاعر «كما يعلم» أحسن من هذا المعنى[1]

وحتى عندما يمدح، لاينسى رابطته بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومحبته له، فيجعله بين عينيه فكراً وقولاً، إحساساً وبعد نظر.

فقد ذكر القرطبي في تفسيره عند مروره بسورة التكاثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من بيته ولقيه أبو بكر ثم عمر فقال ما أخرجكما قالا: الجوع. قال: وأنا.

فذهبوا إلى أحد الأنصار وهو أبو الهيثم بن التيهان فأكرمهم، وقدّم لهم ماتيسر عنده من رطب وطعام. فقال صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامه. وقد مدح عبد الله بن رواحة ذلك الأنصاري في هذا الموقف وقال: .

فلم أر كالإسلام عزاً لأمة
ولا مثل أضياف الأراشيّ معشراً

(١) انظر العمدة ٢ : ١٣٦، ١٣٧.

نبـي وصـديـق وفـاروق أمـة
وخـيـر بنـى حواء فرعـاً وعـنصراً

فوافـوا لميـقـات وقـدر قضـيّـةٍ
وكـان قضـاء الله قدراً مقـدّراً

إلى رجـل نجـد يبـاري بجـوده
شمـوس الضحى جوداً ومجـداً ومفخـراً

وفـارس خلق الله في كل غارة
إذا لبس الـقـوم الحـديـد المسمـرا

ففـدّىٰ وحـيّـا ثم أدنـى قراهـم
فلم يقـرهـم إلا سمـينـاً متـمـراً[1]

فالإلتزام عند شاعرنا يتجلى في هذا القصيد كما يتجلى في كل مقطوعة من قوله :ـ

---

(۱) انظر ديوانه ص ١٥٦، ١٥٧ والقرطبي ٢٠ : ١٧٥.
المتمر المقطع والسمين الذبيحة التي اقرأهم إياها في رواية أنه تيس أو جدي سمين.

ـ إشادة بالإسلام وتأثيره في النفوس.
ـ محبة للرسول صلى الله عليه وسلم، والمحب يذكر محبوبه في كل مناسبة لأنه أثير على نفسه، متمكن من سويداء قلبه.
ـ صدق في العبارة، بدون مغالاة أو فحش من اللفظ أو المعنى المنكر.
ـ إيجاز في القول، فخير الكلام، ما قلّ ودل.
ـ دخول إلى الغرض الذي قصده، جاعلاً ذلك المدخل ما يعتمل في نفسه أولاً حول الإسلام ومكانته.
ـ التزام بالفكرة التي انبثقت عن الإسلام، وانصهرت في بوتقته. وهذه سمة بارزه في شعر عبد الله بن رواحه دائمية، لا يتخلى عنها، ولا تندّ عنه.

حتى الأبيات المفردة يلمس فيها كل من يقرؤها الإلتزام الإسلامي، الذي يتجلى بين الكلمات: محبة للرسول، وصدقاً في الولاء، وتشبعّاً بدين الإسلام لفظاً ومعنى.

يارسول المليك إن لساني
رائق ما فتقت إذْ أنا بور[1]

---

(١) ديوانه ص ١٦١ وقد نسب في بعض المصادر لابن الزبعري.

أو قوله في وداع الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما خرج غازياً إلى مؤته، تلك الغزاة التي لم يعد منها رضى الله عنه فقد قتل فيها شهيداً:ـ

خلف الســلام على امــرىء ودعتــه
في الســنخــل خير مشيّــع وخـليــل[1]

ولا نستغرب الإلتزام الفكري والعقائدي، في شعر عبد الله بن رواحة، فهذا منهج يسير عليه الشعراء العرب، لكنهم يختلفـون بين مقلّ ومكثر. فشعراء الإسلام عموماً تتحرك فيهم جذوته، وخاصة في الملمات.

وقضية الإلتزام بفكر معين أو بغرض شعري ثابت، مما يلمســه، المتتبع للشعراء عموماً، إذْ قل أن يكون لشاعر حياد عنه.

لكن البقاء مع ذلك الإلتزام يتأثر بالعوارض التي تمر بالشاعر، أو المؤثرات التي اتجه إليها.

خذ نموذج ذلك الحصري الضرير علي بن عبد الغني [٤٢٠ ـ ٤٨٨ هـ].

(١) السيرة ٤ : ١٦ والديوان ص ١٤٨.

فقد كانت عوارض الحزن بادية على نبرات شعره، لسببين:ـ

موت ابنه الوحيد، ونكبة القيروان على أيدي الهلاليين.

ولكنه في واحد من دواوينه وهو المعشرات، ترك ذلك الإلتزام، وأخذ جانباً آخر، إذْ التزم فيه بحالتين:ـ

ـ الغزل.
ـ القافية، فكل عشرة أبيات بقافية سار فيها على حروف المعجم.

ولئن كان الحصري رائداً في المعشرات، فقد تبعه فيه أكثر من خمسة، لكل واحد منهم منهج معين في الغرض والإلتزام، كما كان لبعضهم أكثر من معشرة.

وشعراء العصر الحديث، تبرز عند بعضهم سمات الإلتزام، فشعراء المهجر: التزامهم في الحنين للوطن، وتذكر الغربة. لكنهم مع ذلك لا يلتزمون هذا الجانب في كل موقف يمر بهم.

لكن التزام عبد الله بن رواحة رضى الله عنه يختلف عن هؤلاء وهؤلاء.

فالتـزامه جزء من شعره، الذي تشبع بمعاني القرآن، وروح القرآن.

فالتـزامه ثابت في أفكارة التي استجدت في حياة أهل المدينة بصفة خاصة، لأنهم خير من التزم بمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليل نهار، فأخذوا عنه، وحرصوا على التطبيق العملي رجالاً ونساء.

والتزامه رضى الله عنه منهجي باللفظ والمعنى. اللفظ الـذي يعني دلالـة معينـة في المفهـوم الإسـلامي، وتـرك ماينـاقضه ولو كان سائداً، فهو لم يحد عن ذلك الإلتزام طوال حياته القصيرة في ظل الإسلام.

بل إن من التزامه في المجال الشعري هو الإقلال منه، وعـدم لجوئـه إليه إلا في الحالات الضيقة جداً، وعندما يلمس رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يقول.

ونعتـبر هذا التـزامـاً في السكـوت كالتزام مريم عليها السلام بالصوم عن الكلام، فلن تكلم اليوم إنسياً، وما النذر إلا إلزام موثق للنفس بشييء معين.

رحم الله عبد الله بن رواحة، وألحقنا الله به في مستقر رحمته فقد كان:ـ

ـ ملتزماً في شعره بمنهج ثابت لا يحيد عنه.
ـ وملتزماً في سكوته بما يجنبه زلقات اللسان وعثراته.
ـ وملتزماً في ألفاظه المستقاة من القرآن، ونابذاً لكل لفظ له دلالة جاهلية.
ـ وملتزماً في جهاده ومجاهدته.
ـ وملتزماً في محبته للرسول.
ـ وملتـزمـاً بمعاني القرآن في شعره، فهو يسير وفق الخط القرآني، وطريق الإسلام.
ـ وملتزماً بدفاعه عن الرسالة وحامل لوائها.
ـ وملتزماً بخياله فلا يتعدى فكر الإسلام، وما يدعو إليه.
ـ وملتزماً في كل شأن من شؤون حياته، لأنه انصهر في بوتقة الإسلام وأحبه بمشاعره كاملة، وتفاعلت مع تعاليمه وجدانيات نفسه، وخلجات ضميره.

الخاتمة

وبعد فهذا هو عبد الله بن رواحة في نظرة عاجلة مع فكـره وشعوره. . صحابى عرف حقيقة هذا الدين ودور الفرد فيه، فسار مجاهداً لإعلاء كلمة الله، وكان نموذجاً للشاعر المجاهد في عدة جبهات: جهاد مع النفس، وجهاد مع الشيطان، وجهاد مع شعراء قريش ـ والمناوئين للدعوة الإسـلامية، وجهاد مع أسرته ومجتمعه، وجهاد مع نوازع النفس وجهاد مع الكلمة والفكرة.

يعتـبر رائـداً من رواد هذا الفن، وفاتحاً لباب الجهاد باللسان، وفق الكلمة الصادقة، والفكرة الهادفة، والعمق في الدلالة، ولهذا كان شعره أشد وقعاً على المشركين بعد ما دخلوا الإسلام، وعرفوا حقيقته وما يقول، ودلالة ما يعبر عنه، وخليق به أن يكون أستاذ جيل، ومؤسس مدرسة، ذلك أنه سخّر شعره منذ أن أسلم مع قلة، ذلك الشعر، إلى التزام هذا الجانب، مهما طرق معه من غرض، أو سار فيه من منحى، فهـو عنـده الهدف الأساسي، ولئن كان الالتزام لجانب واحد لدى الشعراء قليلاً، فإنه لدى عبد الله ابن رواحة وبعد أن أسلم، قد صار سجية غير متكلفة،

واحساساً ثابتاً في نفسه، فالجهاد يسري في عروقه، ينفثه شعراً بلسانه ويقدم عليه ببدنه جهاداً ومثابرة، ويغالب به النوازع المختلفة في نفسه، ويطرد عنها الوساوس التي ينفذ منها الشيطان.

فرحم الله عبد الله بن رواحة، فقد بدأ دوره في الإسلام مجاهداً، وسار في حياته مجاهداً، وانتظم في شعره مجاهداً، وذهب إلى ربه مجاهداً، بلسانه أولاً ثم بسيفه ثانياً، حتى قتل في أثناء المعركة مع الروم.. وقد شهد له الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، بمنزلة كريمة في الجنة لا يتبوءها الا المجاهدون في سبيل الله، الصادقون في اللقاء.

وإن الإسلام في حاجة إلى أمثال أولئك الرجال في كل عصر، وبكل مكان من المعمورة، ممن عاهد الله وصدق، وآمن فأخلص، واجتهد وعمل،. والله الهادي إلى سواء السبيل.

المراجع والمصادر

١ ـ **أبو الحسن الحصري القيرواني**: محمد المرزوقي وزميله، نشر مكتبة المنار تونس عام **١٩٦٣**م.

٢ ـ **أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة**: ابن الأثير، مطبعة القاهرة ـ دار الشعب.

٣ ـ **الإصابة في تراجم الصحابة**: لابن حجر العسقلاني، مطبعة مصطفى محمد بمصر **١٣٥٨**هـ ـ **١٩٣٩**م.

٤ ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي، المؤلف ط. الثانية عام **١٣٧٤**هـ.

٥ ـ **الأغاني**: أبو الفرج الأصفهاني، دار الثقافة ـ بيروت ـ ط. الثالثة **١٩٧٥**م.

٦ ـ **البداية والنهاية**: ابن كثير، مكتبة النصر ـ بالرياض ـ **١٩٦٦**م.

٧ ـ **البيان والتبيين**: الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ.

٨ ـ **تاريخ الأمم والملوك**: ابن جرير الطبري، دار القاموس الحديث ـ بيروت ـ نسخة مصورة.

٩ ـ **جمع الجواهر في الملح**: لأبي اسحاق الحصري، تحقيق علي البجاوي، مطبعة الحلبي.

١٠ ـ **الحيـوان للجـاحظ**: تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثانية / مصطفى الحلبي، القاهرة.
١١ ـ **دراسات في الشعر العربي**: د. / مصطفى هدارة. منشأة المعارف بالاسكندرية، ط الأولى.
١٢ ـ **ديوان جرير**: الناشر دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٤هـ القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م.
١٣ ـ **ديوان عبد الله بن رواحة**: د. / سعيد باجودة، دار التراث القاهرة عام ١٩٧٢م.
١٤ ـ **ديوان عبد الله بن رواحة**: د. / وليد قصاب، دار العلوم بالرياض عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٥ ـ **الروض الأنف**: عبد الرحمن السهيلي، دار الكتب الحديثة بمصر، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل.
١٦ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: ابن قيم الجوزية، مطبعة السنة المحمدية، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة عام ١٣٧١هـ.
١٧ ـ **السيرة النبوية**: ابن هشام، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ عام ١٣٩١ هـ/١٩٧١م.
١٨ ـ **شرح شواهد المغنى**: السيوطي، دار مكتبة الحياة، ـ بيروت ـ بتذييل ابن التلاميذ الشنقيطي.

١٩ ـ **صحيح مسلم**: بشرح النووي، تحقيق وإشراف عبدالله أحمد أبو رينة، ـ دار الشعب.

٢٠ ـ **الصناعتين**: لأبي هلال العسكري، تحقيق على البجاور وزميله، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

٢١ ـ **طبقات فحول الشعراء**: محمد بن سلام، مطبعة المدني بالقاهرة، عام ١٩٧٤م.

٢٢ ـ **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢٣ ـ **العمده في محاسن الشعر ونقده**: ابن رشيق، دار الجيل، ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة، عام ١٩٧٢م.

٢٤ ـ **فتوح البلدان**: البلاذري، منشورات دار مكتبة الهلال، ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢٥ ـ **في ظلال القرآن**: سيد قطب، دار العربية للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ .

٢٦ ـ **القاموس المحيط**: الفيروز أبادي، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينيه المصرية، عام ١٣٣٠هـ.

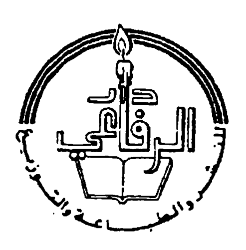
٢٧ ـ **القرآن الكريم**: كتاب الله العزيز.

٢٨ ـ **الكامل في التاريخ**: ابن الأثير، دار صادر ودار بيروت، عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٢٩ ـ **اللزوميات**: لأبي العلاء المعري، تحقيق الخانجي، ونشرة القاهرة.
٣٠ ـ **نقد الشعر**: قدامه بن جعفر، شرحه محمد عيسى منون، الطبعة الأولى، المطبعة المليجية بمصر عام ١٣٥٢هـ.
٣١ ـ **نهاية الأرب**: النويري وزارة الإرشاد والثقافة بمصر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.
٣٢ ـ **وفيات الأعيان**: ابن خلكان، تحقيق دكتور إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت.

الفهرس

طبع هذا الكتاب بموجب ترخيص وزارة
الإعـــلام بـرقـــم ٦٢٠٩ ل م
تـاريخ ١٣/١١/١٤٠٣هـ



المملكة العربية السعودية – تلفون ٤٧٧٧٢٦٩ - برقياً دار الرفاعي
الرياض { ص. ب ١٥٩٠ / الرمز ١١٤٤١ المـــلز

مطـــابع الفـــرزدق التجـارية AL-FARAZDAK PRESS
تلفون ٤٨٢٤٨٦٥ / ٤٨٢٤٩٨٣
ص.ب ١٧٩٨ الرياض ١١٤٢١



بسم الله الرحمن الرحيم

تبعد شقراء الرياض بما يقرب من مائتي كيلو متر، وهي حاضرة إقليم الوشم ففيها ولدت وفيها نلت الشهادة الابتدائية. وفي الرياض أكملت المرحلتين: الثانوية والجامعية من كلية اللغة العربية.

وابتعثت لبيروت حيث تحصلت على دبلوم تربية.

أما الماجستير والدكتوراه فمن جامعة الأزهر بالقاهرة: الماجستير عام ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م وموضوع الأطروحة شعراء الرسول ودفاعهم عن الدعوة وما يزال مخطوطاً، والدكتوراه عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى وموضوع الرسالة: الحصري والنقد في كتابه زهر الآداب وقد طبع في تونس.

اشتغلت بالتعليم فترة طويلة، والآن أعمل رئيساً لتحرير مجلة البحوث الإسلامية أتيح لي المشاركة في العديد من المجامع والعديد من المؤتمرات في داخل المملكة وخارجها. كما ساهمت بجهدي القليل ببحوث ومقالات ومحاضرات وقد طبع من ذلك الكتب التالية:

١- الحصريات. ٢- الحصري والنقد في كتابه زهر الآداب ٣- أبو الشمقمق

٤- فصول من تاريخ شقراء. ٥- فصول من تاريخ حائل ٦- حماية الإسلام للمرأة

٧- حسن الخلق وأثره في تكوين المجتمع الصالح

محمد بن سعد الشويعر